الصحين
دراسة انثروبولوجية

الدكتور محمد رشيد الفيل

المقدمة

تطور الانسان من ابسط انواع الحياة الى ارقاها ، من انسان يجمع ويلتقط غذاءه دون ان يكلف نفسه عناء التفكير الى انسان صانع ماهر يحاول ان يصل الى القمر والمريخ ويكتشف المجهول .

وهنا في خضم هذه الحياة المتشابكة يعيش في جنوب العراق ـ في منطقة الاهوار والمستنقعات ـ جماعات استطابت هذا النوع من الحياة وتكيفت لها ، حياة اقل ما وصفت به انها بدائية هذا الذي دعا البعض الى ان يعتقد بانها حياة رديئة متأخرة من انواع حياة العصر الحجري. صحيح انها حياة متأخرة ولكن هذا النوع من الحياة وهذا الاسلوب من العيش هو الذي تفرضه هذه البيئة الجغرافية فالبيئة الجغرافية تفرض في كثير من الاحيان نوع الحياة التي يحياها الانسان واسلوبها صحيح ان الانسان تمكن ان يغير من الطبيعة فشق الطرق وبنى الجسور وعمل الانفاق .. الخ ولكن لم تزل الطبيعة مسيطرة في كثير من

نواحي الحياة على فعاليات الانسان ونشاطاته فالظروف المناخية لم تزل تقرر نوع المحاصيل الزراعية ودرجة الحرارة تقرر نوع اللباس الذي يلبسه الانسان بل ان الظروف المناخية حتى في الوقت الحاضر لا تزال لها الصفة التقريرية في كثير من امور حياتنا اليومية فتوقيت هتلر بالهجوم على روسيا في شهر حزيران قررته الظروف المناخية وكذلك قررت الظروف المناخية نفسها نتيجة هذا الهجوم ، فبرودة الجو ودرجة الحرارة الواطئة التي سجلت في روسيا – والتي لم يسبق لها ان انخفضت لهذا المدى منذ خمسين سنة مضت – ادت الى اندحار الحملة الالمانية

ولم يزل الانسان واقفاً مكتوف الايدي لا يعمل شيئاً امام كثير من الظواهر الطبيعية كالبراكين والزلازل والاعاصير

لقد عاش سكان الاهوار في هذه المنطقة منذ مئات السنين وصارعوا الحياة وقسوتها واثبتوا جدارة فائقة في التكيف لها والانتاج فيها

وكانت البطائح [1] في جنوب العراق مسكونة منذ القديم فقد روى الجغرافيون العرب امثال ابي الفداء وابن الفوطي والقزويني .. الخ ان هذه البطائح كانت ملجأ للثوار والخارجين على القانون ولقد وضعت حراسة مشددة على طول القنوات للمحافظة على البواخر المحملة بالبضائع والاغذية والمستوردات الاخرى وكانت هناك مواضع متخذة من القصب (اشباه الدكاكين) عليها اكواخ من القصب يلتجئون اليها من البق ، وفيها يعمل رجالها على تطهير المجرى وحماية الملاحين اذ كانت البطائح مكاناً طبيعياً تختبىء فيه اللصوص وطالما لجأ هؤلاء الى الاغارة على المراكب القادمة من البصرة مما دعا الحكومة الى تجهيز حملات للقضاء عليهم ففي عام ١٢٩٣ مثلا وما بعدها ارسلت حملات عسكرية لمهاجمة المنطقة والقضاء على اولئك الخارجين على القانون واستمرت المنطقة مسكونة بتلك الجماعات

---

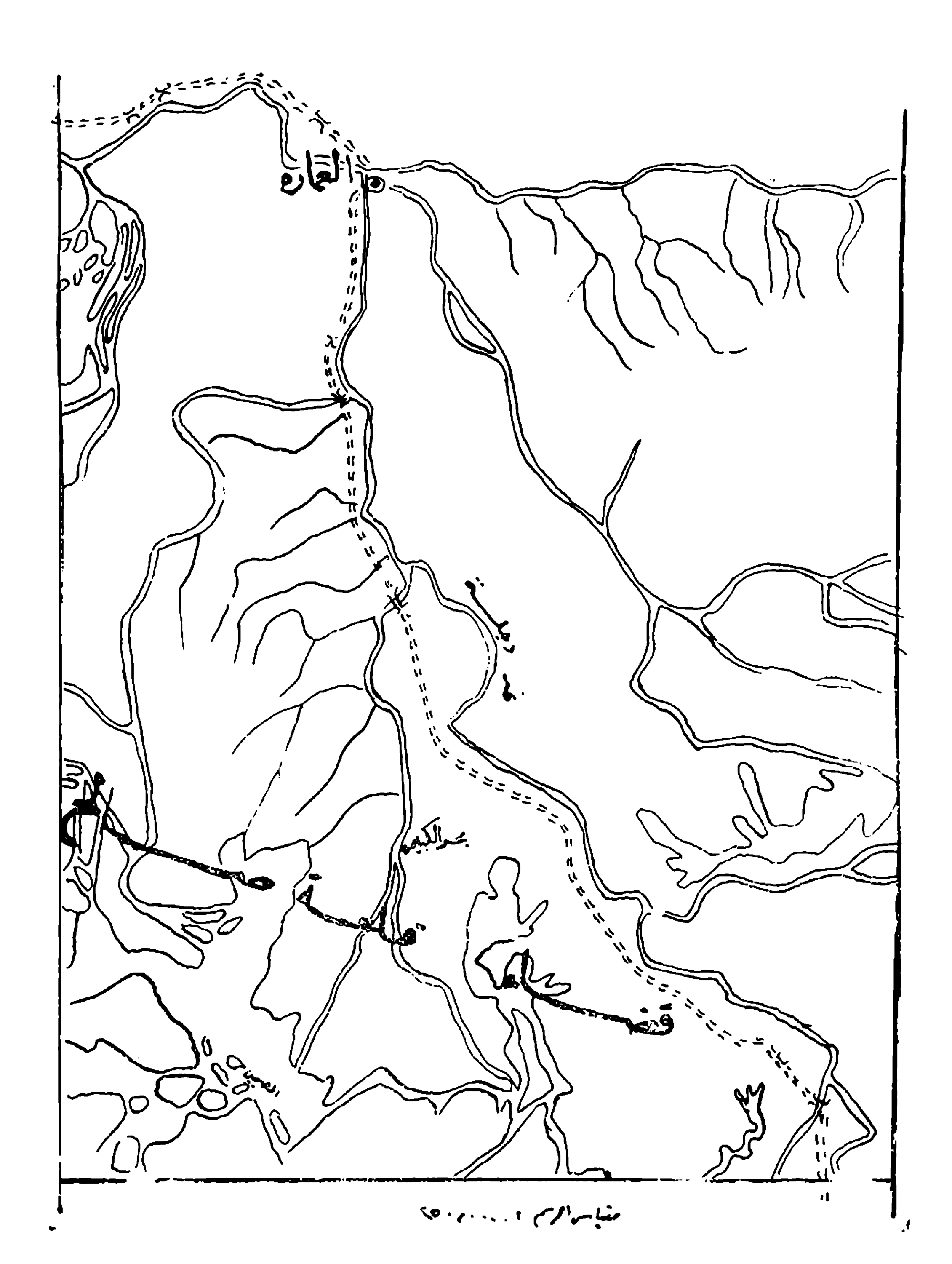
(١) البطائح : جمع بطيحة وتعني المستنقعات أو البحيرات الساحلية والاجزاء الضحلة من البطائح والمغطاة بالبردي تسمى الاجام بينما الاهوار مسطح مائي واسع لا ينمو فيه اي نوع من انواع النباتات المائية

او بغيرها ممن اضطرها ظروف متباينة للجوء اليها والسكن فيها وتكيفت بمرور الزمن لهذا النوع من الحياة واستطابته وانتجت فيه وان دراسة احوال هؤلاء والوقوف على طراز معيشتهم امر لا يخلو من طرافة لانه نوع فريد من انواع الحياة واسلوب المعيشة ، وحياتهم ليست من الامور المجهولة لدى المشتغلين في الادارة في المنطقة والساكنين على مقربة منهم ، إلا انها يكتنفها الغموض لدى معظم المثقفين ممن لم يسعفهم الحظ برؤيتها وقد كنت شخصياً ـ كغيري من الكثيرين ـ احمل فكرة عن هذه الاهوار وعن سكانها بانها منطقة ذات مياه آسنة مملوءة بالقصب يشارك البعوض الانسان داره ومائدته وكل ناحية من نواحي حياته ولكني رأيت العكس ، رأيت مياه الاهوار وكأنها مياه البحر الهادىء ، عميقة تمتد على مد البصر ولا يوجد اي نوع من انواع النباتات المائية ، الا حيث المياه الضحلة ، ورأيت اناساً قد دخلت معالم الحضارة الى اكواخهم التي بنوها وسط الماء فعندهم راديوات ترانسستر ومدرسة واسعة تحوي حوالي ٣٠٠ طالب ومعلمون ، بعضهم من نفس المنطقة وهم يتمتعون بصحة جيدة

هذه الحياة كما قلنا مجهولة لمعظم المثقفين وقد تصبح غريبة لدى الاجيال القادمة اذا ما انتظم الري في العراق وتطورت حياة السكان الاقتصادية وزالت معالم الاهوار وقد يتعذر على الباحثين في المستقبل الاطلاع على طراز معيشتهم ولهذا ارى ان الواجب يحتم علينا دراسة حياتهم في الوقت الحاضر لتساهم هذه الدراسة في رفع مستواهم من ناحية ولدراسة حياة الجماعات البدائية العريقة في القدم من ناحية اخرى ، لان الدراسة المقارنة في مثل هذه الاحوال تعطينا الحلول لكثير من المشاكل التي تعتور دراستنا للمجتمعات البشرية البدائية القديمة

ولعل هذا البحث يساهم ـ ولو بجزء يسير ـ في كشف بعض الحقائق عن حياة السكان في منطقة الاهوار وقد يكون له يد في دراسة موسعة للمنطقة لغرض استثمارها اقتصادياً بأحسن الوسائل والطرق .

ولاشك بان القارىء سيتصور لاول وهلة اننا نتكلم على صحن طائر صغير طالما سمعنا



مقياس الرسم ١ : ٢٥٠٠٠٠

اخباره في الجرائد والمجلات واحاطته هالة من الاشاعات قد تكون صحيحة او غير صحيحة وقد اعتبره البعض نذير شؤم لانه يدل على هجوم يقع في المستقبل من سكان عوالم اخرى في هذا الكون العجيب ولكن سيخيب ظنه لاننا نتكلم على (صحين) في جنوب العراق يتمثل بقرية صغيرة على مسطح من الماء

تقع منطقة الصحين في الاهوار الجنوبية من لواء العمارة وهى تابعة في ادارتها الى ناحية المجر الكبير ، وهى تمثل منطقة مغمورة بالمياه تكتنفها في بعض جهاتها النباتات المائية ولقد ابتكر الانسان لنفسه في هذه المنطقة وسائل بدائية للمعيشة تنسجم ومحيطه ويقطن سكان هذه المنطقة في اكواخ من القصب والبردي قائمة على جزر تدعى بلغتهم العامة (الچباشة) التي ترتفع عن مستوى سطح الماء ، مصنوعة من القصب والبردي المتراكم بعضها فوق البعض الآخر وينتقل هؤلاء بقوارب مزفتة (مطلاة بالقير) تدعى بلغتهم المشاحيف ويعيش معظمهم على صيد الاسماك والطيور ومنتجات الجاموس والبقر من الحليب والزبد .. الخ

اما النظام الاجتماعي في هذه المنطقة فهو نظام قبلي كثير الشبه بالتكوين القبلي فى شبه جزيرة العرب

وختاماً ارجو ان اقدم صورة واضحة عن المنطقة لكي تعطي فكرة صحيحة عن الصحين وسكانها ونسأل الله العون والتوفيق

بغداد في ٢٧ /٧/ ١٩٦٦

الفصل الأول

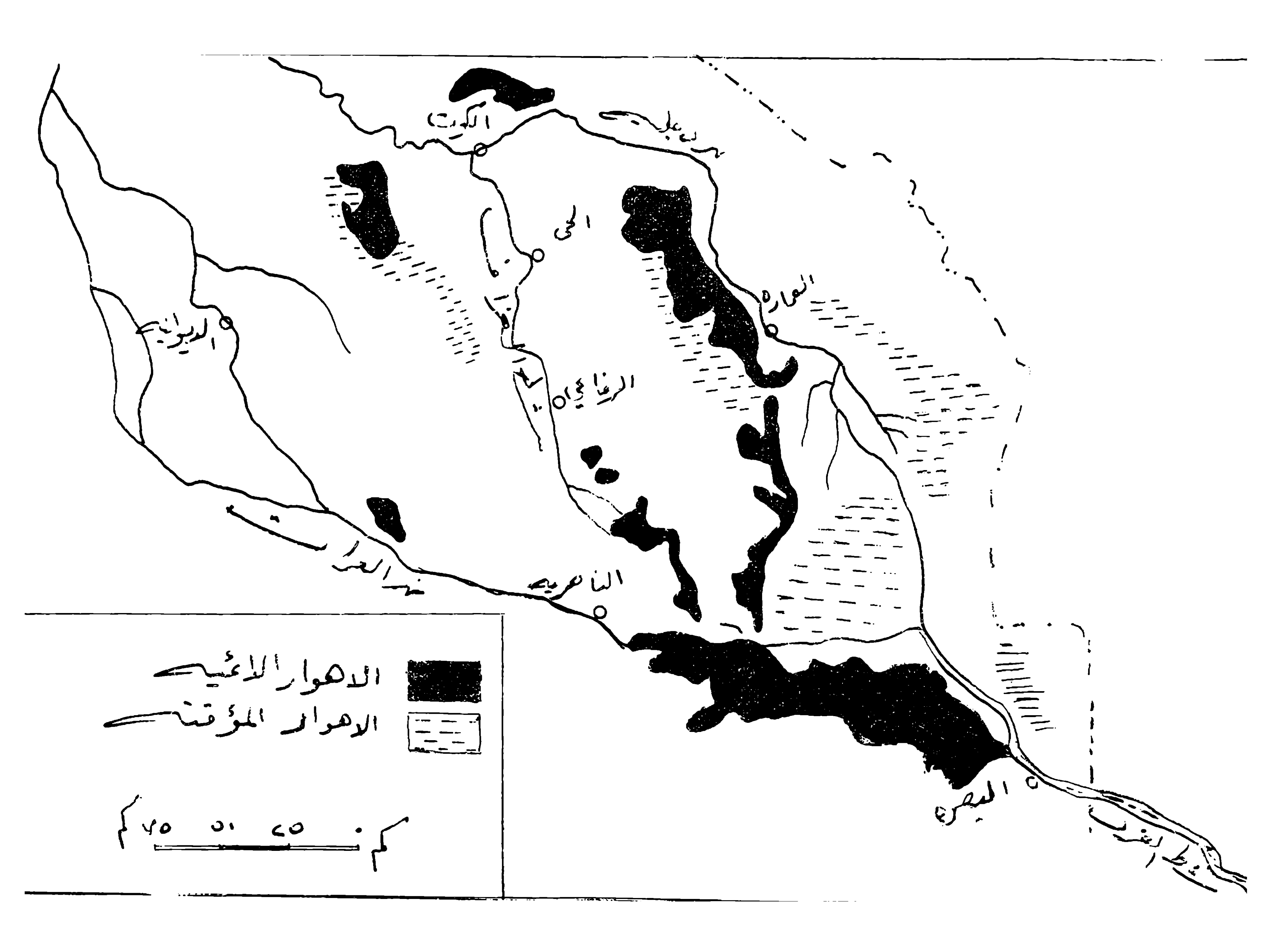
الاهوار - نباتاتها - حيواناتها - طيورها

بدأ هذا الكتاب برحلة الى المنطقة في فترة كانت فيه المياه مرتفعة ، وكان علينا ان نقوم بدراسة المنطقة دراسة اجتماعية وطبيعية لكي نعطي فكرة عن الاهوار والمستنقعات بصورة عامة وعن منطقة الصحين بصورة خاصة وللوصول الى الصحين سلكنا بالسيارة طريق بغداد العمارة والذي يمر بمدينة الكوت والصحين تقع في اواسط منطقة السهل الرسوبي في العراق الذي نجد ان اهم مظهر من المظاهر الطبيعية التي تجلب الانظار في هذا السهل هي الاهوار والمستنقعات،وهي تتوزع على شكل خطوط ثلاثة فريدة في تنظيمها

١ — المستنقعات شمال السهل الرسوبي العراقي وهي تشمل بحيرة شاري الى الشرق من دجلة بين العظيم وديالى ثم هور عكركوف (جاف في الوقت الحاضر) بين النهرين الى الغرب من بغداد وبحيرة الحبانية الى الغرب من الفرات

٢ — اما الخط الثاني فيضم هور الشويجة الى الشرق من دجلة وهور دلمج وهو عفك بين دجلة والفرات ثم اهوار الفرات الاوسط بين الحلة والحافة الصحراوية

٣ — اما الخط الثالث فيشمل هور الحمار وهور الحويزة ، هذه الاهوار والمستنقعات تغطي مساحة قدرها ٢٠٠٠٠ كم^{2} والتي يعتبرها البعض اوسع الاهوار والمستنقعات في العالم وتزداد مساحتها وتقل تبعاً لكمية المياه المنسابة لهذه المنخفضات في الفصول المختلفة ولقد اختلفت الآراء في اسباب امتداد الاهوار الواسع فالبعض عللها نتيجة لنظام فيضان



الكوت
نهر دجلة
الحي
العمارة
الديوانية
الرفاعي
الناصرية
نهر الفرات
البصرة
شط العرب
الاهوار الدائمية
الاهوار المؤقتة
كم ٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ كم

كل من دجلة والفرات ، اوانها بقايا قديمة لحركات المد والجزر في البحر الذي كان يغمر السهل الرسوبي العراقي قديماً وارى ان سبب وجودها يعود الى ان دجلة والفرات تمكنا ان يبنيا ضفافهما ولم يتمكنا ان يكملا بناء السهل الرسوبي في المناطق المجاورة ،وهذا ادى الى وجود مناطق منخفضة لها القابلية ان تمتلىء بالماء كلما وجدت المياه اليها سبيلا فاذا ما ضبطت مياه دجلة والفرات سيؤدي حتماً الى انحباس المياه عن هذه الاهوار وسيؤدي هذا الى تقليص مساحتها بل - ربما - الى اختفائها ولقد كتب الجغرافيون العرب ان منطقة الاهوار الموجودة في العمارة كانت في اثناء انسياب دجلة عبر واسط ، صحراء يطلق عليها صحراء جوخي ووصفت بانها كثيرة الرمال المتنقلة وكثيراً ما يفقد التجار



(الصحين)

والمسافرون طريقهم ، كما رووا بان منطقة البطائح - والتي كانت تشغل مساحة ٣٢٠٠٠ كم² وتمتد جنوب الحلة والديوانية والناصرية وشمال البصرة - كانت قبل تكوينها منطقة مزروعة بمختلف المحاصيل الزراعية ثم في سنة ٦٢٩ م حدث فيضان لم يشهد العراق

مثله من قبل لحدثت بثوق في سداد دجلة والفرات وتسربت الميـــاه الى المناطق المنخفضة المجاورة وكان الدهاقين (اصحاب الاراضي) في شغل عن اصلاح هـذه البثوق اذ بدأت في هذه الفترة الهجمات العربية الاسلامية على العراق فاتسعت البطائح

والسفر من العمارة الى الصحين يكون عن طريق مدينة المجر الـكبير حيث تستخـدم في هذه المدينة القوارب العادية والبخارية للوصول الى الصحين ، والملاحظ ان ربانية القوارب يمتازون بمعرفة الطريق وإلا فقد القارب وضاع لسعة المنطقة وانتشار القصب في هـــذه الاهوار ومن العسير جداً العثور عليه

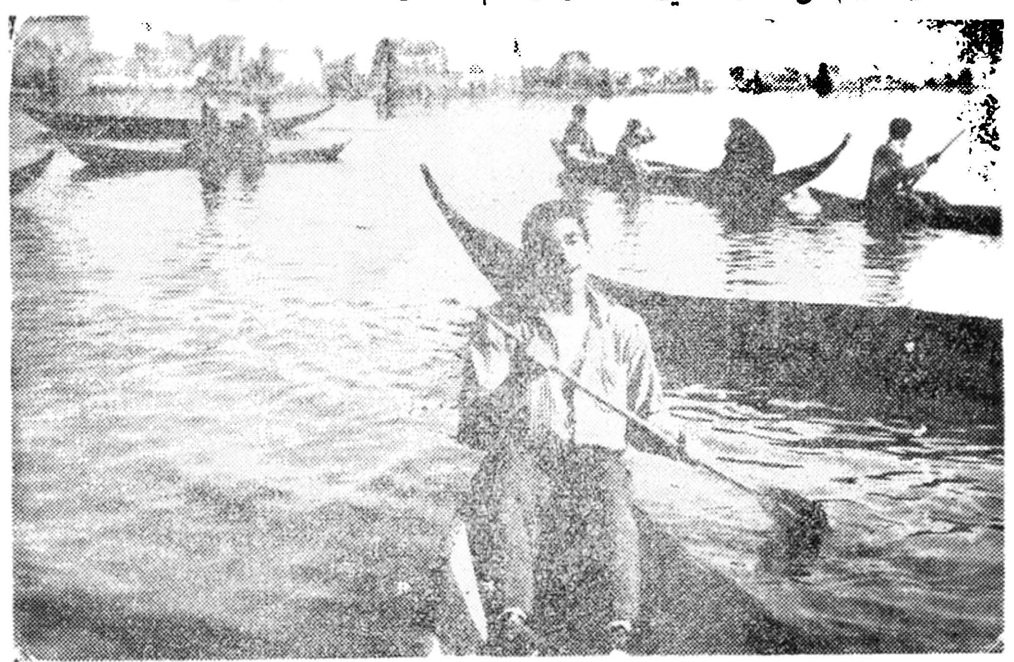
والمجر الـكبير جدول يتفرع من الجهة اليمنى من دجلة بمسافة ٢٠ كم[٢] مؤخر قصبة العمارة



نبات من نوع Oroban caccac ويعيش في المناطق الرملية

ويعتبر في سعة اراضيه بالدرجة الثالثة بعد جـــدولي البتيرة والـكحلاء اذ يبلغ عرضه فى منطقة الصدور حوالي ١٠ متراً كما يوجد في هوره ناظم فني تم انشاؤه سنة ١٩١٩ يتألف من (٨) فتحات عرض الفتحة حوالي ٤٠ر٣م ويتم غلقـــه بالاخشاب ، مثله مثل ناظم الـكحلاء . ويسير العمود الرئيسي لهذا الجدول الى مسافة تقارب ١٧ كم حيث تقـع قرب نهاية قصبة المجر الكبير ثم يتفرع بعد ذلك الى جدولين فرعيين ، هما العدل والوادية اللذان تتلاشى مساحتاهما فى اهوار الوادية وام العبيد الممتدة حتى سلسلة الاهوار المتاخمـــة لهور الحمار [١]

والجدول الموصل بين المجر الكبير والصحين تتوزع على جانبيه ـ فى كثير من المناطق ـ بساتين النخيل ، ولـكن بعض المناطق تخلو ضفافها من النبـــاتات إلا من بعض النباتات الصحراوية البرية المنتشرة هنا وهناك ويشاهد على جانبي الجـدول جماعات تقوم بصنع المشاحيف وهم من الصابئة الذين تخصصوا بصنع المشاحيف المطلاة بالقار [٢]



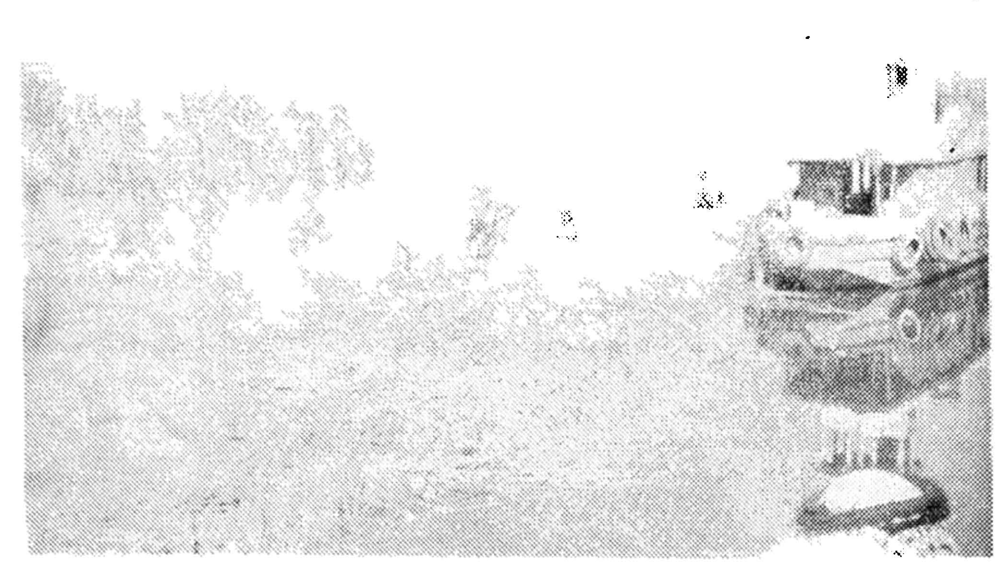
مجموعة من المشاحيف المستعملة في منطقة الصحين

---

(١) لاحظ خريطة رقم واحد

(٢) انظر صورة رقم واحد .

والمسافة عبر هذا الجدول لا تتعدى بضعة كيلو مترات يدخل بعدها في ترعـة العدل احد فرعي المجر الـكبير والذي يؤدي الى قرية الصحين وهنالك عند احـد فروع العدل مكان يسمى الركاصة تنطلق القوارب فيها الى الصحين ، واصحاب القوارب شديدو الحذر عند السير في هذا الطريق خشية فقدان الطريق اذ يوجد طريق معين تسلـكه الموتورات وهو خال من القصب بينما يكثر على جانبيه القصب المرتفع ولذلك يجب الاحتراس والحذر لئلا



القارب البخاري المستعمل للانتقال بين المجر الـكبير والصحين

يفقد المسافر طريقه فى الاهوار وعند ذلك يصعب العثور عليه لاختفـائه في القصب وفي بعض الاحيان يصطدم القارب بمناطق رمليه لضحالة المياه في بعض انحاء المجرى مما يحمل صاحب القارب على دفع قاربه بعصا طويلة يطلق عليها المردي ولمسافة طويلة ويلاحظ ايضاً كثرة المدارس المنتشرة على طول جانبي المجرى وبعد مسيرة ٣ ساعات في هـــذا الطريق يدرك المسافر قرية الصحين

تـكثر الاسماك في هذه الاهوار وخاصة (البني والـكطان) وتزداد في الشـتاء

والربيع ويقل ظهـــورها في الصيف حيث تستظل تحت النبـــاتات المائية نهـــاراً وتظهر ليلاً ويفيدون منها في غذائهم[1] وفي وسط المياه توجد مجاري تسمى (گواهين) عرض الواحـــد يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ م وعمقها يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ قدم ، وتؤلف الـگواهين شبكة مواصلات مهمة في العادة صالحة لملاحة مختلف وسائل النقل المائي بما في ذلك القوارب البخارية والسفن الشراعيـة التي لا يتجاوز غاطسها العشرة اقدام وهـــذه الاهوار تؤدي الى هور الحمار وهـكذا تظهر اهمية الـگواهين



القصب والبردي في منطقة الصحين

اما النباتات السائدة في الاهوار فهي ـ الى جانب الحشائش المائية المختلفـــة ـ : القصب والبردي ويبلغ ارتفاع نبات القصب في بعض الاحيـــان حوالي ٢٠ قدماً وغالباً ما يؤلف جزراً عائمة

القصب و البردي في منطقة الصحين

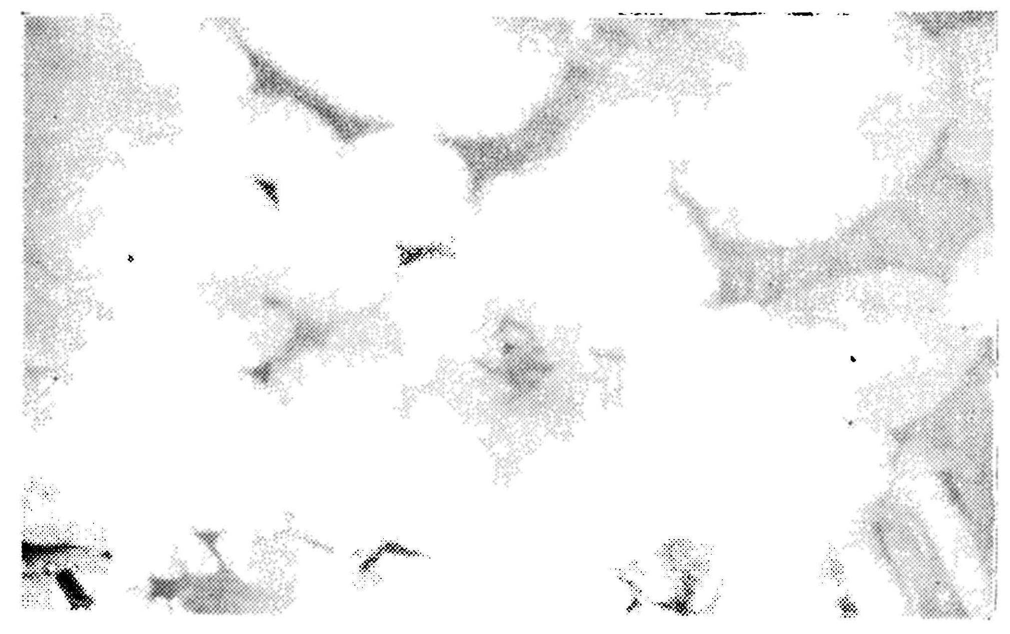
ويعتبر القصب بالنسبة لسكان الاهوار من اهم النباتات في حياتهم الاقتصادية فمن

(١) يروى الجغرافيون العرب ان سكان الاهوار كانوا يصطادون الاسماك ويجففونها أو يملحونها ويصدرونها الى المناطق المجاورة

سيقانه الطرية يتكون علف الجاموس المفضل وفي موسم الخريف تحرق مساحات واسعة من القصب لتجدد سيقانه ويستعملون سيقانه الغليظة لتسيير قواربهم في الاهوار وتسمى هذه السيقان (بالمرادي) كما يستعملون القصب بعد هشيمه لصناعة الحصران (البواري) والتي لها سوق رائجة في مدن العراق الجنوبية وقراه ولا سيما لواء العمارة والبصرة حيث تستخدم للجلوس أو لتسقيف البيوت ويشيد سكان الاهوار مساكنهم من القصب ويستعملون سيقانه اليابسة للوقود والاضاءة

اما البردي فيستعمله سكان الاهوار علفاً لحيواناتهم (الجاموس) اذا ما انعدم القصب ويشيدون معظم مساكنهم على اكوام هائلة من البردي بحيث تكون مرتفعاً مصطنعاً يعرف بالچباشة التي تعلو قليلاً عن سطح الماء ويأكل بعض سكان الاهوار جذوره وتجمع نساؤهم رؤوسه المفتحة خلال موسم الربيع ويصنع منه نوع من الحلوى صفراء اللون تعرف « بالخريط »

وبالاضافة الى القصب والبردي يوجد نبات (الكولان) الذي يقتات عليه الجاموس



الأزهار المغطية لصفحات المياه

في بعض الاحيـان ، كذلك يوجد نباتات اخرى كالسجل والجريج الذي يمتـاز بان اوراقه جارحـة

وفي موسم انخفاض المياه تزدحم مجاري المياه بنباتات مائية متنوعة كالشمبلان وغيره والتي تلتف وتتشابك مع بعضها بحيث تعيق ملاحة القوارب

وخلال شهري آذار ونيسان تـكتسي صفحـات المياه بأزهار صغيرة تعرف (بزهير البط) ذات الوان براقة منها الأصفر والابيض

ومن النباتات المهمة التي شاهدناها والتي يستعملها سكان المنطقة في غـذائهم نباتات (الـگاط) ذات السيقان الحمراء والاوراق الخضراء التي يلتذون بأكلها وهي من الاكلات الشعبية لوجود الحموضة والملوحة في طعمهـا ويقدر عدد المجاميع النباتية الموجودة فيها بـ (٣٢) صنفاً [1] وتكثر الحيوانات في المنطقة ، منها الخنازير والتي تؤذي المحاصيل المختلفة وهي من انواع الخنازير الهندية الكثيرة التلون منها طويل الشعر والمائل الى الحمرة أوقصيره والمائل الى الرمادي أو أملس وكذلك كلاب الماء وقطط الغابات الهندية والسـلحفاة والرفش [2]

اما الطيور فتتنوع في هذه المنطقة من حيث اشكالها واحجامها واوقات هجرتهـا ، فيلاحظ في كل عام في فصـل الخريف بالذات تبدأ هجرة كثير من الطيور لاهوار العراق ومنها الصحين لمشابهة بيئته ولملائمتها معيشة هذه الطيور لوفرة المياه والحبوب والاسماك التي تقتات عليها ، وتزدحم مياه الأهوار في منطقة الصحين بالطيور المتنوعة حتى تـكاد تغطي سطح الماء لمسافات بعيدة والملاحظ ان هذه الطيور تأتي من مناطق بعيدة ولقـد وجدت في ارجل احد الطيور حلقة كتب عليها باللغة الانكليزية (موسكو) وتبيض هذه

(١) راجع سليم « الدكتور شاكر مصطفى الجبايش » :
Wilfred. Thcsigr. The Ma'don or Marsh Dwellers or Southern Iraq

(٢) راجع سليم « الدكتور شاكر مصطفى الجبايش » :
Zukhary. The Flora of Iraq., Wilfred "OP. cit."

الطيور وتفقس ثم تعود الى موطنها الاصلي ، وتقيم هذه الطيور في المنطقـة مدة تقارب السبعة اشهر تبدأ من تشرين الاول وتنتهي بنهاية مايس ، وهنالك قليل من الطيور يقيم طول العام

ومن اهم انواع هذه الطيور :

١ — طيور صغيرة تسمى محلياً « دويج الرز » يقدر حجمها بحجم الحمام وهي تغوص في الماء لتفتش عن طعامها

٢ — البيوضي : وهو طير ابيض اللون ذو سيقان طويلة خالية من الريش وهو طير بري ومائي ويرافق الجاموس والبقر للحصول على غذائه

٣ — البعيجي : وهو طير بري صغير الحجم ريشه اسود براق تـكثر اســرابه في الارض التي حصد منهـــا ناتج الرز لتلتقط ما تبقى من حبوب وهذا الطير ممتلئ الجسم لذيذ الطعم

٤ — دجاج الماء : ويقدر حجم الواحد منها بقدر حجم الدجاجة وهو ذو ريش أسود ومنقار أبيض يوجد بين اصابع أرجلها غشاء رقيق يعيش في الماء وقد يظهر على السواحل ولا يرتفع فى طيرانه

٥ — الـكصكص : وهي طيور صغيرة ســـريعة النمو ، ذات ريش املح مرقط بأبيض وذات سيقان طويلة . وهي تشكل اسراباً هائلة عند طيرانها أو عند هجرتها

٦ — الخضيري : وهو اجود انواع الطيور المعروفـة في منطقة الصحين وهي تهاجر بأعداد كبيرة من أوربا وتـكون ذات ريش جميل ولحم لذيذ وذات ثمن غال في الاسواق . وتعيش في الميـاه البعيـدة عن البيوت خوفاً من الصيادين الا ان الانسان يتحايل عليهـا فيصطادها

٧ — الزركي : يشبه اللقلق بحجمه وشكله ولـكنه ازرق الريش براق يراقب المارة بحذر يعيش منفرداً بين نباتات البردي والقصب ويقتات على الاسماك الصغيرة .

٨ — الرضوى : يشبه الزركي إلا انه اصغر حجماً ولون ريشه اسود ضارب الى الحمرة يعيش منفرداً

٩ — البط الوحشي : وهو طير كبير يهاجر الى العراق في فصل الشتاء وهو كثير الشبه بالبط الذي نألفه ، تطير اسرابه على شكل زوايا حادة أو منفرجة ، وقد يعرف الصيادون مكان نزولها وهي في الجو وذلك عند ما تحوم حول بقعة من الارض لحتمية هبوطها في ذلك المكان وهي تعيش على الاسماك الصغيرة وانواع من النباتات الطبيعية

١٠ — الملحة : وهي طير صغير الحجم يشبه الحمام ، ريشه ابيض فاتح يرتاد السواقي والمياه الضحلة ويقتات على الضفادع والديدان

١١ — البرهان : وهو طائر يمتاز بألوان ريشه الزاهية كالأزرق والاحمر والاخضر



سرباً من الاوز في منطقة الصحين والذي يكثر في الأهوار بصورة عامة

والابيض يعيش بين القصب والبردي ويعد من الطيور القليلة وقد يجلب الصيادون بيوض هذا الطير ويضعونها تحت الدجاج للتفريخ حيث يعنى بالصغار

١٢ — البريشة : طير ذو ريش أملح ، منقارها عريض تقتات على الحبوب والحشائش.

١٣ — أبو زله : وهو طير يشبه الخضيري في حجمه وشكله وريشه ابيض وأخضر وأصفر .

وتضاف الى ما ذكرنا أنواع أخرى وهي أقل اهمية من السابقة كالحذافة وأم عبية والوردة .. الخ .

الفصل الثانى

السكان — أصلهم — بيوتهم — مستواهم الثقافي والصحي

ان سكان العراق بصورة عامة ينتمون الى مجموعة البحر المتوسط من الجنس القوقازي(١) إلا ان لموقع العراق من القارات القديمة الثلاث ولخصبه ولمساهمته منذ القديم في التطور الحضاري لسكان هذا الكوكب جذب اليه كثيراً من الجماعات البشرية التي قدمت بطرق مختلفة ؛ أما بصورة حربية أو هجرة سلمية أو نتيجة لتجارة الرقيق اوللتزود بالمعرفة أو للتمتع بالرخاء والتطور الحضاري وهكذا نجد خليطاً من الصفات منها المغولية والزنجية والارمنية .. الخ

ولكن العراق كان دوماً مفتوحاً نحو شبه جزيرة العرب ولهذا كان يتلقى الموجة تلو الاخرى من شبه الجزيرة ، هذه الموجات هي التي اضفت عليه طابعه الجنسي الحالي وفرضت عليه صفاته ولغته ولهذا يمكن أن تقول ان التكوين الجنسي للعراق كان ولم يزل ثابتاً ، وهو ان سكانه من مجموعة البحر المتوسط

وقد درس هنري فيلد العراق من الناحية الانثروبولوجية ، وعتاز دراسته بالصور التي اخذها ووجد نماذج جنسية غريبة يمكن ان نعزوها الى الغزوات التي منيت بها العراق في

(١) يتألف الجنس القوقازي من المجموعات التالية :
ا — البحر المتوسط (ب) الالبيين (ج) الشماليين (د) الارمن
(هـ) الاتراك يضمهم البعض الى الجنس المغولي

مختلف العصـــور وكانت الاهوار بالذات ملجأ الضعفاء والخارجين على القانون . ولهذا لا نستغرب ابداً من وجود اشكال بشرية غريبة في هذه المناطق ، ولـكن هذا لا يمنع من القول بأنَّ سكان الاهوار لايختلفون عن باقي سكان العراق من الناحية الجنسية



مجموعة من الشباب في منطقة الصحين وهم مستبشرين بمناسبة عيد الفطر المبارك

اما الصحين والمناطق المجاورة لها فتمثل عشيرة الفرطوس اكبر العشـائر في المنطقة ويبلغ تعدادهم ٣٠٠٠ نسمة ويعتقـد البعض انهم اتوا من الناصرية من عشـيرة آل غزي بسبب نشوب معارك بينهم وبين القبائل الأخرى التي تسكن لواء الناصرية . ويرجع بعضهم اصـل عشـيرة الفرطوس الى قبيلة طي العربية ، وتتكون عشيرة الفرطوس من عدد من الأفخاذ وهي :

البوزيادة ، آل عبادي، السويلحات ، آل سعودي ، العصافرة ، آل عطاس ،البوراس ، العرجان ، البوعراق ، البو برش ولهذه الأفخاذ جميعاً رئيس عام

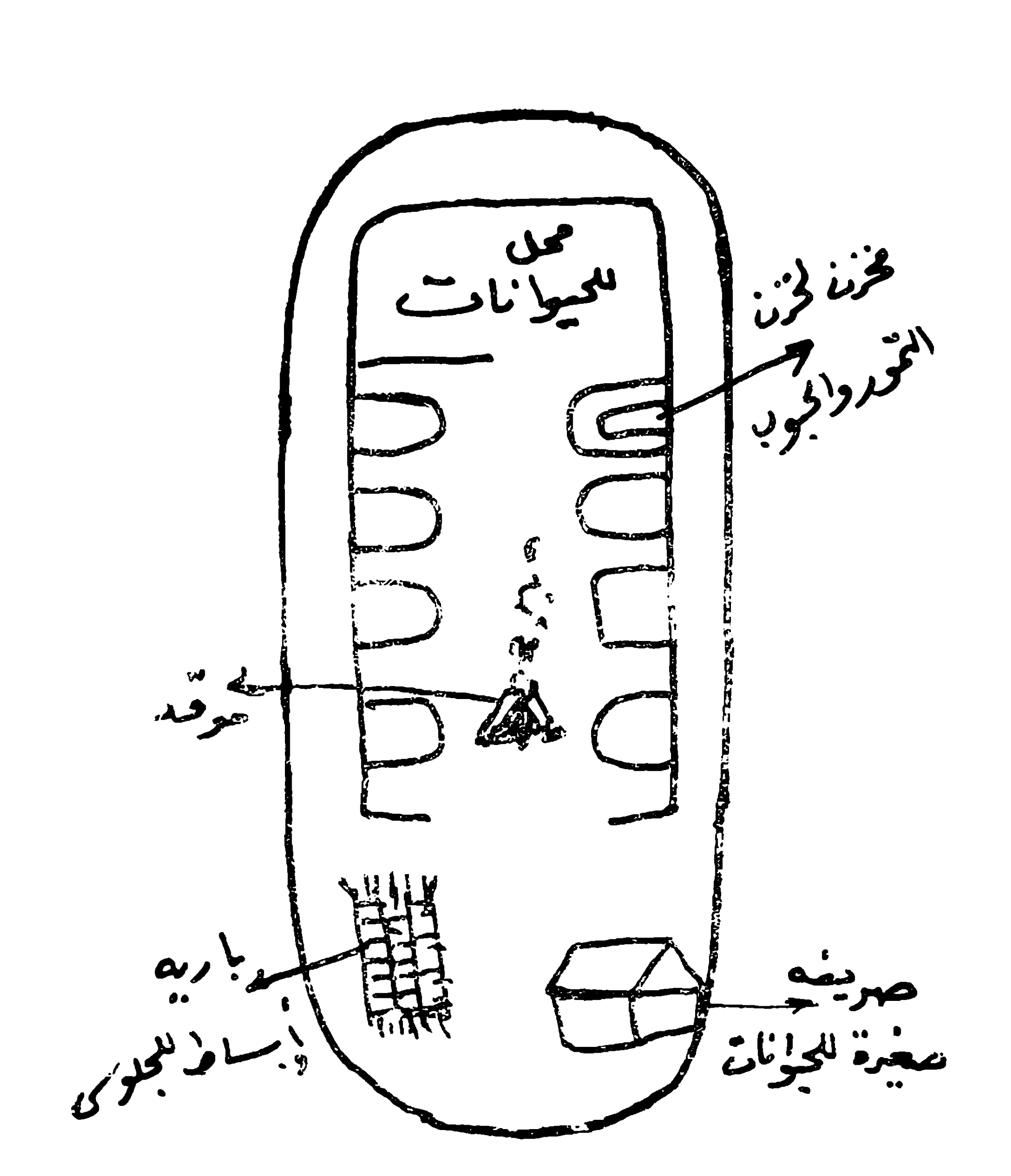
والى جانب الفرطوسـيين يوجد في الصحين جماعات اخرى منها عشيرة بيت ادهام

الذين يبلغ عددهم مائة نسمة ولقد هاجر معظم افراد هذه العشيرة الى بغداد قبل ثورة ١٤ تموز هرباً من الفقر وسوء توزيع الملكية العقارية ، وكذلك عشيرة الحمدان وهم يرجعون في اصلهم الى عشائر البو محمد المنتشرة في ناحية المجر الكبير ، وعشيرة بيت غضب وعددهم قليل جداً فى منطقة الصحين والعلاقات بين هذه العشائر حسنة في العادة يسودها الود والتفاهم ولكن قد تسوء هذه العلاقات نتيجة للنزاع على الأراضي أو مناطق الصيد أو قضايا ثأر

بيوتهم وكيفية بنائها : يتكيف البناء عادة حسب البيئة التي ينشأ فيها فتبنى الدور فى كل منطقة بمواد البناء المتيسرة في تلك المنطقة ففي شمال العراق حيث الصخور متوفرة بدرجة كبيرة تكون المادة الاساسية للبناء الصخور وفي وسط العراق حيث ندرة الصخور وكثرة المواد الطينية تبنى الدور من الطابوق . اما في منطقة الاهوار حيث لايوجد الا النباتات المائية فننتظر ان تكون تلك النباتات مادة البناء الاساسية ، كالقصب ، والبردي ، والبواري . والحبال .. الخ

ولهذا فان هذا البناء لايدل على تأخر بأي حال من الاحوال بل هو تكيف للظروف الطبيعية السائدة في المنطقة ، والتكيف للبيئة دليل من دلائل التقدم والرقي فنجد مثلاً بعض بيوت الاسكيمو تبنى من الثلوج المتراكمة في المنطقة .. الخ وهي تبدو للناظر ـ ولأول وهلة ـ انها على شكل كهف في منطقة جبلية وتحتاج الى جهد لبنائها بحيث تتناسب ليس مع البيئة الطبيعية فحسب بل حتى بالنسبة للفصول اذ لابد ان يحسب حساب دخول الهواء أو عدمه وحماية السكان من رياح الشتاء الباردة أو من الرطوبة العالية

هذه البيوت اما انها تبنى على جزر طبيعية أو أنها تبنى على جزر اصطناعية صغيرة مصنوعة من القصب والبردي المتراكم بعضه فوق بعض والتي تدعى بلغتهم « الچباشة » كما اسلفنا وتكون في العادة قليلة الارتفاع عن الماء ولهذا يحاولون رفعها برمي ما يحصلون عليه من البردي ، وقد تغمرها المياه في بعض الاحيان في فصل الفيضان ولهذا نجد انهم



محل للحيوانات
مخزن لخزن التمور والحبوب
موقد
باريه أساس للجلوس
صريفه صغيرة للحيوانات

صريفة للحيوانات ثم دخلنا الصريفة الكبيرة فوجدنا انها مقسمة الى قسمين احدهما كبير يحوي على آثاث العائلة ومؤونتها والآخر اصغر للحيوانات

اما القسم المخصص للعائلة ففي الوسط الموقد وعلى الجانبين الحصران وفوقها الافرشة وفي النهاية الجزء المخصص للسكن « ووجدنا صندوقاً خشبياً يبدو انه يضم الالبسة والحاجيات الاخرى »

ثم مخزن « كوارة » من الطين المجفف في الشمس كبير الحجم لخزن الحبوب والتمور ثم يأتي القاطع أو الحاجز بين العائلة والحيوانات ثم الحيوانات

ويبدو انهم يجتمعون حول الموقد للسمر أو لتناول الغذاء ولهذا نجد الصرائف قد اكتست من الداخل بطبقة سوداء من الكاربون

وكان طول البناء (٦) أمتار وعرضه (٣) أمتار وارتفاعه (٣) أمتار كما يوجد بناء لربط الحيوانات في اثناء النهار اما ليلاً فتوضع داخل البناء الرئيسي والذي لاحظناه ان الباب واطي- وضيق لايتجاوز ارتفاعه متر وربع وعرضه ٦٠ س

المستوى الثقافي والصحي :

اول ما يتبادر الى الذهن ان هذه المنطقة يسودها الجهل والمرض ولكن العكس هو الصحيح كما رأيت ، فقد دخلت معالم الحضارة الى هذه المنطقة ، فرأيت كثيراً من الشباب يحملون راديوات ترانستر وكانوا يستمعون الى اذاعة بغداد والاذاعات المختلفة الاخرى كما انهم يستعملون اللوكسات للانارة وعلى الرغم من صغر القرية التي لا تتجاوز عدد الدور فيها ٣٥٠ داراً وعدد سكانها ٨٠٠ نسمة توجد فيها مدرسة واسعة اطلق عليها اسم مدرسة المنار الريفية تأسست سنة ١٩٥٠ يبلغ عدد طلابها ٢١٥ طالباً (وهم بنون وبنات) على الشكل التالي :

الصف الاول : ٣٣ طالباً

« الثاني : ٣٩ طالباً

« الثالث : ٥٦ طالباً
« الرابع : ٦٠ طالباً
« الخامس: ٢٠ طالباً
« السادس: ٧ طلاب

المجموع ٢١٥

ومدير المدرسة احد خريجي دار المعلمين الابتدائية وكان وقتئذ السيد اللعيبي النمر وهو من نفس المنطقة اما المعلمون فعددهم سبعة من خريجي الدورات التربوية (سنة واحدة بعد البكلوريا الثانوية) او دور المعلمين ويوجد بينهم معلمون من نفس القرية وهنالك ثلاثة آخرون من المنطقة في دار المعلمين الابتدائية ينتظر تخرجهم قريباً والذي يبدو لي ان سبب زيادة عدد الطلاب والاقبال الزائد انما يرجع الى ان وزارة التربية تعطي الكتب للمدارس الابتدائية مجاناً كما تجهز الفقراء منهم بالالبسة وتقدم وجبة غذاء يومياً واعتقد أن السبب في زيادة الطلاب بالنسبة لمجموع سكان القرية ان بعض الطلبة يفدون اليها من القرى المجاورة ووسائط نقلهم المشحوف لاننا في الواقع لاحظنا الكثير من المشاحيف امام بناية المدرسة المنشأة من القصب والبردي شأنها شأن دور القرية وفيها ثماني غرف احداها للمدير والاخرى للمعلمين والستة الباقية للدراسة

وساحة المدرسة واسعة ونصب فيها هدفان لكرة السلة كما فيها ايضاً شبكة لكرة الطائرة ولا شك بان هذه المدرسة سوف تكون المنطلق الى تطور هذه القرية وتحسين وضعها الصحي والاقتصادي

اما من الناحية الصحية فهنالك كثير من الامراض المتوطنة كالملاريا والبلهارزيا والتراخوما .. الخ

ومما يجلب الانتباه ان نسبة المصابين بالبلهارزيا يصل الى ٩٠ ٪ من مجموع السكان وذلك لوجود المياه والقاذورات والبيئة المساعدة لنمو البعوض والذباب وكثيراً من الجراثيم المرضية ، هذا الى جانب ان الفلاح واولاده حفاة في الغالب ومعظم اعمالهم تنقل بالماء فلا غرو أن يصابوا بهذه الامراض ولكن الحكومة عملت على مكافحة الملاريا وشنت

الحملات الصحية للقضاء على هذه الاوبئة ولا سيما البلهارزيا ولقد نجحت في ذلك الى حد كبير ، كما اخبرني السكان بان موظفاً صحياً يأتي دوماً الى المنطقة ومعه التجهيزات الصحية لمعالجة المرضى ولقد تقرر فتح مستوصف في القرية هذا مع العلم ان الموظفين الصحيين (الممرضين والممرضات) هم من اهالي المنطقة لان بعض المتخرجين من المدارس المتوسطة او الثانوية دخلوا دورات صحيـــة . ومن يجد أن مرضه يحتاج الى عناية اكبر يذهب الى ناحية المجر الكبير وهنالك يتلقى العناية الكافية والعلاج الشافي ولا شك بان هـذا سيؤدي حتما الى رفع المستوى الصحي للمنطقة ويعمل على زيادة الانتاج

الفصل الثالث

حرف السكان ومستواهم الاقتصادي :

الحرفة هي أي عمل يمتهنه الانسان ليكسب ما يقيم أوده ويجعله يستمر على العيش وتقسم الحرف الى اقســام عديدة منها ما هو حرف بدائية لا تحتــاج الى تفكير ولا الى جهد عضلي ، كالجمع والالتقاط ومنها حرف راقية تحتــاج من الانسان جهداً فكرياً وعقلياً وهي كالآتي :

١ — الجمع والالتقاط وهي ان يلتقط الانسان ويجمع جذور النباتات والاثمار والديدان الخ

٢ — الصيد بمختلف انواعه وهو ارقى من الحرفة السابقة لان الانسان الصياد يجب ان يكون ملماً بعادات الحيوانات وطبائعها سريع الجري قوي السمع والبصر

٣ — الرعي

٤ — الزراعة

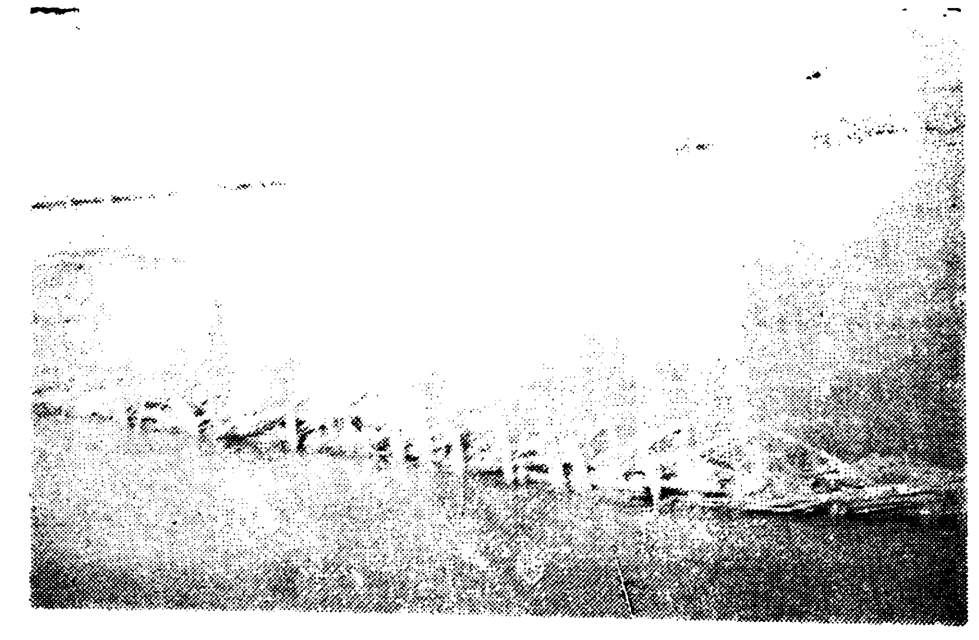
٥ — الصناعة والتعدين

اما سكان الصحين فمنهم من يجمعون النباتات ويصطادون ومنهم من يرعون ،

ويزرعون ويجمع السكان بعض النباتات التي يفيدون منها في غذائهم كنبات الكاط مثلا ويصطادون الطيور والاسماك لغذائهم وكذلك الثعالب والارانب والخنازير التي يصطادونها لا لغذائهم لان الدين الاسلامي الذي يدين به جميع السكان يحرم اكل لحم الخنزير بل للتخلص من اذاه. كما يرعون الجاموس الذي يعتبر العمود الفقري في حياتهم الاقتصادية كما يقومون بالزراعة سواء صيفاً عند انسحاب المياه ام شتاء في الجزر وعلى سواحل الجداول. ولا يوجد هنالك أي تخصص في الحرف فالفلاح يمارس حرفة الصيد والجمع وقطع القصب وبيعه والافادة منه وسنتكلم على الحرف التي يمتهنها سكان الصحين بالتفصيل وهي كالآتي :

١ — الزراعة :

بالامكان اعتبار الزراعة حرفة ثانوية في الصحين اذا ما قورنت بحرفة الصيد وذلك لان معظم اراضي الصحين تغمرها المياه الا ان هنالك مناطق تبقى جافة يمكن الافادة منها



« يلاحظ في الصورة الطريقة التي يعمل بها الفلاح على حجز المياه لزيادة الارساب في ناحية ولنثر الرز فيها »

في الزراعة وكذلك صيفاً تظهر بعض الاراضي نتيجة لتبخر المياه وقلة المياه المنسابة في الانهار والجداول الى هذه الاهوار

ويملك الفلاح في العادة ٣ ـ ٤ مشارات وتتضمن الزراعة هنا زراعة الرز حيث يعتبر المحصول الرئيس في المنطقة والمعول عليه فى غذائهم او الدخل النقدي الذي يحصلون عليه وهم يولون زراعـــة الرز عناية كبيرة فيبدأون صيفاً بازالة الحشائش النباتية في المناطق الزراعية واعدادها للزراعة والزراعة هنا بطريقتين :

ا ـ نثار

ب ـ شتال

وهي نقل الرز من مكان نثر البذور بعد مرور اربعين يوماً الى محل شتله على شكل حزم تدعى باللهجة المحلية (حياسر) ومفردها (حيسر) وهم عادة لا يقومون بالنثر وذلك لقلة الاراضي لديهم بل يشترونه من مناطق اخرى كمنطقة الفكارة في الجر الكبير أو منطقة آل أزيرج وهم في العادة يشترون المشارة الواحـــدة باربعين ديناراً والتي تكفي لشتال ٣ مشارات ويبذل الفلاح في هذه العملية جهداً كبيراً حيث يقلع نبات الرز من مناطق نثره وتسمى هذه العملية (الشلاع) الى مناطق شتله كما قلنا بالقرب من مناطق سكناهم وتسمى العملية (الشتال) وبعـد نضج المحصول في شهر تشرين الاول يقوم الفلاحون بحصده بالمنجل وهي عملية بطيئة لانها تعتمد على الفلاح وليس على الآلة وبعد الانتهاء من عملية الحصاد يقوم الفلاح بنقله بالزوارق او المشاحيف الى حيث يقوم بدراسته على جزر صغيرة اصطناعية معمولة من القصب والبردي وتسمى (المسطاح) ويقوم بدراسته بواسطة الحيوانات التي يمتلكها ثم بعد ذلك تذريته بواسطة المراوح (المذراة) ثم يجمع الحاصل ويوضع في مخزن يصنعه الفلاح نفسه من الحصران (البواري) ويكون هذا المخزن داخل بيوت السكن خوفاً من سرقته اما انواع الرز التي تزرع فهي من انواع الشنبة والعنبر وعند انتهائه من جمع المحصول يأتي التجار المقايضون لشراء ناتج الرز ولقد بيع الطن منه

سنة ١٩٦٢ بـ ٤٥ دينار (اي ان سعر الكيلو ٤٥ فلساً) ثم ارتفعت قيمة الطن بعد هذا التاريخ الى ٥٣ دينار للطن الواحد



مجموعة من فلاحي منطقة الصحين وهم يحملون محاريثهم (مساحي)

٢ — الصيد :

تعتبر حرفة الصيد اهم ما يقوم بعمله سكان الصحين فهي بالنسبة لهم الحرفة الاساسية التي يحصلون بواسطتها على غـذائهم اليومي وكذلك على النقود اذ يقوم الصيادون ببيع ما يصطادونه في الاسواق المجاورة ويبقون بعض الصيد للعائلة وهنالك مجالات واسعة لهذه الحرفـــة وبامكانها اذا انتظمت ان ترفع من مستوى السكان الاقتصادي و توفر لهم ضروريات الحياة فهناك الطيور المتنوعة الكثيرة والاسماك وكذلك بعض الحيوانات البرية كالثعالب التي بامكانه ان يصطادها وان يفيـد منها ولقد تفنن ساكن الصحين بطرق الصيد وهى كالآتي :

أ — الدوشة :

وهى طريقــة لصيد الطيور والدوشــة شــبكة طولها يتراوح ٨ ـ ١٠ م وعرضها يتراوح بين ٢ ـ ٣ م وهى تحاك باليد تنصب الدوشة تحت الماء الضحل قرب حافات الاهوار وذلك بتثبيت بضعة عيدان في قعر الماء على شكل هيكل اقارب وتربط اطرافها ببعضها بحبال تتصل بحبل واحد طويل بين ٥٠ ـ ٧٠ ســم وارتفاعه نصف متر وفيه فتحة ضيقة ينظر منها للشبكة وعندما يروم الصيد يقوم الصياد بنثر الحبوب داخل الشبكة لمدة من الزمن حتى اذا ما الفت الطيور هذا المكان يأتي الصياد ليلا ويختبئ عن الطيور في المخبأ الطيني لانها ستطير حتما اذا احست بوجوده ، ويكون الصياد في منتهى اليقظة حتى انه يضع طرف كوفيته على انفه وفمــه خوفاً ان تسمع الطيور سعاله وعطاسه وعندما يتجمع اكبر عدد ممكن من الطيور داخل الشبكة يسحب الصياد الحبل بيده بكل ما اوتي من قوة فتتجمع جوانب الشبكة على بعضها وتبقى الطيور داخلها فاذا ما تمت العملية يخرج الصياد من مخبئه ويشرع بذبح ما اصطاده ويعود الى الدار حاملا صيده فيوقض العائلة لكي تعاونه بنتف الريش ثم يقومون بتنظيفها ويربطون كل زوج من ارجلها لبيعها في الصباح في الاســواق المجاورة أو على الجيران والعادة الجارية ان يربط الصياد طيراً سميناً مع آخر ضعيف وعلى المشتري ان يشتري زوجاً مربوطاً اما الصياد فقد يبقي بعض الصيد له في الدار او انهم يستفيدون من رؤوس تلك الطيور وكبدها .. الخ

ب — الصيد بالبنادق :

هنالك طريقة اخرى لصيد الطيور وهى طريقة الرمي بالبنادق القديمة المسماة (بالجعازة) وهى تصنع محلياً وهنالك بنادق حديثة ولكن صاحب الحظ هو من عنده بندقية حديثة لانها ستوفر له جهد صنع البارود ومشقته وكذلك يضمن له الصيد فاذا ما رأى الصياد البط او الزركي او الرضيوي او اللقلق .. الخ يرســم بمخيلته الطريقة التي سيتبعها في الوصول او التقرب الى هذه الطيور ، فهو اما ان يسير منحنياً او محتمياً بالسواقي او يزحف على بطنه او انه يعمد الى عمل حاجز من حزم البردي والتي تسمى عندهم (الشاشة) والتي تكون على هيأة زاوية حادة طول كل ضلع متر ونصف والارتفاع قدم واحد ويثبت على

الشاشة بصورة عمودية بعض النباتات المحيطة بالمنطقة ويدفعها امامه ببطء وحذر الى ان يصل الى مكان قريب يصلح للتسديد او انه يستعمل قارباً صغيراً جداً لا يسع اكثر من راكب واحد ولا يظهر منه شيء في اثناء سيره في الماء الا ارتفاع بضع سنتمترات من الحواف وعند رؤية الصياد لهذه الطيور يمتد في هذا الزورق الصغير على بطنه ليختفي عن انظار الطيور ويسدد فوهة البندقية ويبدأ بالجدف بكفيه خوفاً من ان تتنبه الطيور فتهرب وعلى بعد معين من الطيور يقف عن الحركة ويسدد بندقيته فاذا ما اصطاد شيئاً اعتدل في القارب واسرع نحو الصيد وذبحه ويرميه في القارب ثم يتابع مطاردته للطيور الاخرى او يعود الى داره أو قد يبنون غرفة صغيرة داخل الهور من البواري يطلقون عليها (نوشـــة) يكمن فيها الصياد ليلا لاصطياد الطيور التي تأتي الى الهور لشرب الماء ولالتقاط ما ينثره الصيادون

أو يستعملون السم (الزهر) لاصطيادها حيث يشتري الصياد مقداراً من الزهر الشبيه بالبندق فيكسره باسنانه او بالحجارة لاستخراج لبه ومن ثم يسحق اللب بالهاون بعد أن يضيف اليه مقداراً من مسحوق الصابون وبراز الطيور (الدجاج) ويعجن بقليل من الماء ثم يؤتى بجذور البردي الطري ويوضع فيها عجين الزهر بنسب متساوية ويكون عند ذلك جاهزاً للاستعمال وهذا النوع من الصيد يتطلب خروج جماعة من الصياديين وتعاونهم فيخرج الصيادون بقواربهم الى مكان الطيور وحين رؤيتها يتجهون عكس الرياح المارة على الطيور لمسافات بعيدة خشية هروبها منهم ويضعون الجذور المســمومة فوق الماء فتتقاذفها الامواج نحو الطيور التي تأكلها باعتبارها من انواع الغذاء المفضل لديهم وفي مدة قصيرة تتراوح بين ١٠ـ١٥ دقيقة يؤثر مفعول السم بجسم الطير فيختل توازنه وينقلب على ظهره او يدور في الماء حول نفسه فيسرع الصيادون لذبحها قبل موتها ويستمرون في مراقبة بقيـــة الطيور ومن ثم يعودون الى اهلهم لبيعها في الاسواق او لأكل لحمها وجمع ريشها للافادة منه في صنع الوسائد او بيعه

جـ — صيد الاسماك :

اشتهرت منطقة الاهوار بالاسماك منذ القديم فقد روى الجغرافيون العرب كما ذكرنا بان سكان البطائح كانوا يصطادون السمك من نوع البني والـگطان ويجففونها او يملحونها ويصدرونها الى المناطق المجاورة او الى الخارج وهكذا كانت الاسماك ولم تزل مورداً غذائياً واقتصادياً هاماً لا لسكان المنطقة فحسب بل لجميع العراق وتتبع طرق عديدة لاصطياده وهي كالآتي وهم في كل الاحوال يستعملون المشحوف او القوارب للتنقل الى المناطق التي تتوفر فيها الاسماك

(١) — الشبك :

يبلغ طول الشبكة الواحدة حوالي ١٠ م وعرضها متر واحد وهي تصنع محلياً وفي العادة يربط باسفل الشبكة كرات من الرصاص ليغطس ، اما الحافة العليا من الشبكة فيربط بالكرب ليطفو على سطح الماء وعند البدء بالصيد يعين المكان الذي تتوفر فيه الاسماك ويشترط فيه العمق المناسب ويذهب عادة في الزورق الواحد عدة اشخاص وعند الوصول الى المكان المطلوب يسير الزورق بسرعة باتجاه عرضي أو طولي بالنسبة للهور وباستقامة وفي هذه الاثناء يبدأون برمي الشبك بالماء تدريجياً حتى يغطس جميعه وبعد الانتهاء من رمي الشبكة ينتظر الجميع هادئين لفترة من الزمن تقارب الربع ساعة ، وقد ينزل احدهم في الماء حاملا بيده مردي (عمود من القصب) ويذهب باتجاه الشبك لمسافة ٣٠ متراً ثم يعكس اتجاه سيره نحو الشبك ضارباً الماه بالمردي صارخاً باعلى صوته باصوات لا معنى فيها والغرض منها تخويف الاسماك وهروبها امامه الى الشبك ويستمر بالضرب والصراخ مع السير نحو الشبك وبعد ذلك بقليل يبدأ الصيادون بسحب الشبك ويجمعون الاسماك في القارب ويسمى هؤلاء الصيادون باللغة المحلية اسم البربرة وهم مختصون بصيد السمك وبيعه والعادة الجارية ان يشتري المتعهدون هذه الاسماك بسعر متفاوت فقد يصل في بعض الاحيان ثلاثة دنانير لكل مائة سمكة وقد يصل ثمنها عشرة دنانير

(٢) — الكاروف :

وهو يشبه الشبك من حيث الصنع إلا أنه اقل طولا يرمي عند الاستعمال في الماء على هيئة نصف دائرة ويسحبه الصيادون بسرعة نحو الساحل محاولين بذلك حصر اكبر عدد ممكن من الاسماك بين الشبك والشاطي. وعند الوصول الى الشاطي. يدخل اغلب السمك الموجود في تلك المياه في الشبكة المحيطة به (الكاروف)

(٣) — السلة :

السلية مخروطية الشكل قاعدتها دائرية توجد في اعلاها فتحة صغيرة دائرية ايضاً وحافة القاعدة مربوطة بحبال تتصل بحبل طويل يمسكه الصياد وعندما ترمى في الماء تنزل الى القاع فان صادف وجود سمك في تلك البقعة فيدخل بداخل السلية وعند السحب تتجمع القاعدة على بعضها وهذه الطريقة قليلة الاستعمال في منطقة الصحين

(٤) — الفالة :

تصنع الفالة محلياً او قد تشترى من مراكز النواحي او الاقضية او الالوية وهي تصنع من الحديد على شكل كف وهي اما ان تكون ذات خمسة رؤوس فتسمى (بالخمسية) او ذات ثلاث رؤوس فتسمى (ثلثية) وتكون الرؤوس رفيعة ومدببة يشبه كل واحد منها السهم في شكله ، تربط هذه الفالة في نهايتها بقناة طولها ٣ امتار من الخشب او من القصب ويسير الصياد راجلاً على الساحل ويرمي الفالة بقوة بالماء دون ان يرى السمك او يلاحظ حركته وبذلك يعتمد على عامل الصدفة فاذا سقطت الفالة صدفة على سمكة خرقتها فيرجعها الصياد ويستخرج الفالة من السمكة التي يرميها في كيس او اناء معد لذلك او أن يأخذ المشحوف ويقف الصياد منتصباً في مقدمة المشحوف ويجلس في الطرف الآخر صياد ثان ويكثر هذا النوع من الصيد في المياه الضحلة التي تكثر فيها الحشائش والادغال لكثرة الاسماك فيها فاذا رأى الصياد حركة غير عادية في ناحية من النباتات رمي الفالة نحوها بقوة وتعتبر هذه الطريقة من الصيد الطريقة الرئيسية في منطقة الصحين على الرغم من ان عدد

الاسماك التي تصطاد بهذه الطريقة قليلة وذلك لسبب هروب الاسماك من الصوت الناتج من اصطدام الفالة بالماء ومن حركة الزورق .



طريقة صيد الاسماك بالمشحوف والفالة

(٥) — الصيد بالزهر :

بعد تحضير الزهر جيداً يعمل على شكل كرات صغيرة ثم ترمى حيث تتوفر الاسماك وبعد الانتظار مدة من الزمن قد تصل الى نصف ساعة تطوف الاسماك التي تناولت السم وعند ذلك يبدأ الصياد بصيد هذه الاسماك وجمعها اما بيده أو بالفالة

(٦) — الصيد بالطوافة :

تستعمل هذه الطريقة في الليالي الهادئة الريح وذلك حيث تثبت اعمدة من القصب في مقر الماء في ابعاد مختلفة ثم تربط بين كل عمودين شبكة وبعد نصب جميع الشباك التي تقارب احياناً العشرة ينتقل الصياد بزورقه أو بمشحوفه فيما بينها ملاحظاً حركتها ومصغياً لكل صوت يحدث فان حدث ان مرت سمكة واشتبكت باحدى هذه الشباك

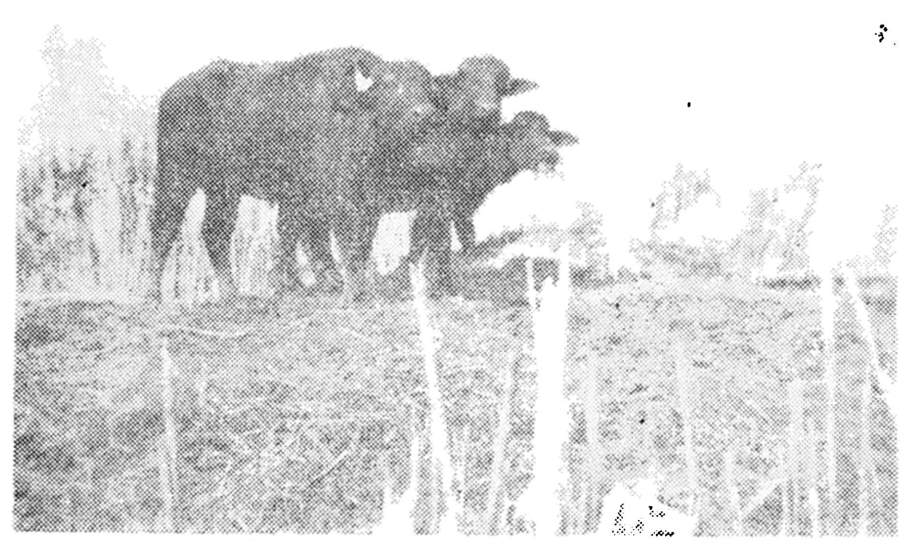
احدثت صوتاً وحركة في الماء محاولة تخليص نفسها ، يسرع الصياد لرفع الشبكة من الماء ويمسك السمكة فان كانت كبيرة يصعب نقلهـا من الشبكة الى الزورق عمد الى ضربها على رأسها بعصا صغيرة يحملها دوماً كي تخور قوتها وتنعدم مقاومتها فيسهل نقلها وهكذا يستمر متنقلاً بين الشباك حتى مطلع الفجر حيث يجمع شباكه ويعود ادراجه الى داره بما غنمه

٣ — قطع القصب والبردي :

يكون القصب والبردي النبات الرئيسي في منطقة الأهوار وهو المادة الاساسية في بناء البيوت وعمل المرادي ونسج الحصران وكثير من الحاجيات الضرورية لسكان الاهوار وفي بعض الاحيان يجمع ويباع في الاسواق حيث يقوم سكان الصحين نساءاً ورجالاً بقطع القصب وجمعه في المشاحيف أو في قوارب كبيرة وبيعه في الاسواق وبصورة خاصة في ناحية المجر الكبير حيث يباع حمولة المشحوف بـ ٤٠٠ فلس وحمولة البلم الكبير بدينار وربما اكثر من هذا وهم يشترون بهذا المبلغ حاجياتهم من السكر والشاي والتبغ والالبسة أو قد يقصدون منطقة الأزيرج لبيع القصب عليهم وشراء مايحتاجونه من الرز ، أو يعملون منه الحصران ويبيعوها كذلك في الاسواق المجاورة

٤ — ربية الحيوانات :

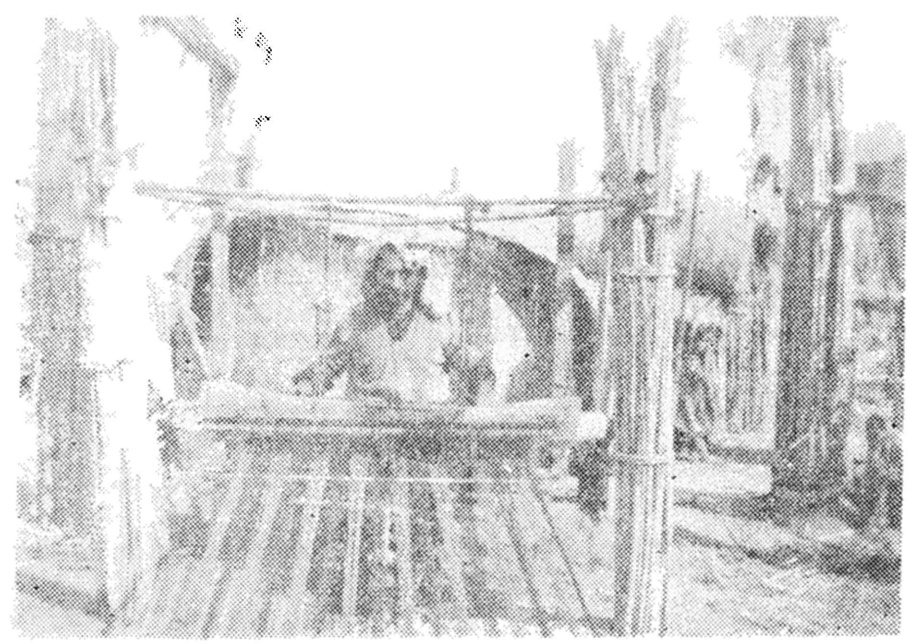
تعتبر حرفة الرعي وتربية الحيوان حرفة ثانوية عند سكان هذه المنطقة اما اهم الحيوانات التي يربيها سكان الصحين فهي البقر وذلك نظراً لتوفر الغذاء وهو نبات القصب في اول انباته أو ما يسمونه (العنكر) والتى عند بداية انباتها تكون طرية سهلة الهضم كذلك يعنون بتربية الجاموس الذي يعتبر اهم حيوان لديهم في المنطقة حيث تكثر الحشائش التى يقتات عليها ، كذلك تتوفر المياه التى يجب ان يبقى بها مدة طويلة وهو يستفاد من هذه الحيوانات من منتجاتها المختلفة كالحليب واللبن والجبن والزبد والقيمر أو بيعها فى الاسواق ، وهو يربط هذه الحيوانات معه في بيت السكني خوفاً عليها من السرقة



قطيع من الجاموس الذي يعيش في منطقة الأهوار

وكذلك يعنون بتربية الدجاج الذي يستفيدون من بيضه ولحمه أو بيعه في الاسواق

٥ — الى جانب الحرف التى ذكرناها هنالك بعض الصناعات البدائية الموجودة في



حائكاً في منطقة الصحين وهو جالس وراء جومته يمارس عمله

المنطقة كصنع البواري التي يكسون بها بيوتهم ويبيعون الباقي فى الاسواق المجاورة كذلك يوجد في منطقة الصحين (حائك) واحد يستعمل الآلة القديمة المسماة (الجومة) الذي يقوم بصنع الملابس الريفية البسيطة ويقدر دخله بحوالي ٧ دنانير شهرياً

كما يقوم البعض بصناعة تصليح القوارب والمشاحيف وهي بأمس الحاجة الى هذه الصيانة والتصليح اذا ماعرفنا ان النقل المائي هو الوسيلة الوحيدة للاتصال من ناحية وللحصول على وسائل العيش كالصيد من ناحية أخرى



مصلح المشاحيف في منطقة الصحين

المستوى الاقتصادى لسكان الصحين :

يمكن تخمين المستوى الاقتصادي لسكان المنطقة بواسطة معرفة المستوى الثقافى والصحي والألبسة والغذاء واخيراً دخل الفرد أو العائلة السنوي فالمستوى الثقافي لسكان المنطقة مرتفع جداً فكما رأينا ان عدد سكان قرية الصحين ٨٠٠ نسمة وفيها مدرسة ابتدائية كاملة من الصف الأول الى الصف السادس وعدد طلابها ٢١٥ طالباً كما ان هنالك بعض المعلمين من نفس القرية تخرجوا في دور المعلمين ومن دورات صحية ، يضاف الى ذلك

ن بسة تلاميذ كانت نظيفة . كذلك وجدنا الكثير من السكان يحمل راديوات ترانستر (من نوع صغير) أو من الراديوات الكبيرة التي تعمل بالبطاريات صحيح ان الكهرباء لم يصل الى المنطقة إلا ان البيوت تنار بواسطة اللوكسات

لقد روى لي بعضهم ان معظم سكان القرية يتردد دوماً الى ناحية الجر الكبير فيتأثر بالمحيط الذي هو اكثر تطوراً من قريتهم دون شك

أما من الناحية الصحية فقد كان سكان المنطقة مصابين بالبجل والملاريا والبلهارزيا إلا ان وعي السكان والحملة التي قامت بها الحكومة للقضاء على هذه الآفات جعل المنطقة تتطهر الى حد بعيد من هذه الأمراض ويزور القرية موظفون صحيون بصورة دائمية لمعالجة المرضى مهم والذي يصعب معالجته يذهب الى مركز الناحية حيث يوجد طبيب يمكنه معالجة المرضى واعطاءهم الدواء الشافي كل ذلك بدون مقابل ان راجع المستشفى او المستوصف الحكومي. ومن مراجعه انواع الامراض نستدل على ان غذاء السكان ممتاز أو بدرجة عالية من حيث توفر المواد الغذائية اللازمة اذ نادراً ما يشكو السكان من سوء التغذية ، ويعتبر العشاء الوجبة الرئيسية اذ يتناول السكان الخبز والشاي صباحاً وقد يكون معه قليل من الزبد أو اللبن ويكون ذلك في الصباح الباكر حيث يذهب الى عمله سواء لصيد الاسماك أم الطيور أم جمع القصب أم الزراعـــة في الفترة التي تنسحب فيها المياه وتظهر بعض الاراضي التي يزرعها السكان بالرز فيأخذون معهم بعض الخبز وقليلاً من الزبد والجبن أو أنه في طريقه يجمع نبات الـﮔـاط ذا الطعم اللذيذ أما وجبة المساء فهي - كما قلنا - الوجبة الرئيسية حيث يتناولونها بعد مغيب الشمس مباشرة وتتكون عادة من اللحوم البيضاء كالسمك المشوي أو الطيور والرز الذي يستعمل بطريقتين

١ — الطبخ

٢ — خبز وهو على ثلاثة اشكال

أ — الرصّاع

ب — السياح

ج — الطابك

لعمل الرصاع يطحن الرز ليصبح على شكل دقيق ويؤخذ منه مقدار يكفي لوجبة واحدة ثم يخلط مع الماء وقليلاً من الملح ويعجن ثم تؤخذ منه اقراص توضع فوق ما يسمى بالساج وهي دائرية الشكل مصنوعة من الواح رقيقة من الحديد ومحدبة يوضع تحتها النار بعد أن تنصب على ركائز وتنظف لكي تصبح جاهزة للاستعمال و يوضع تلك الأقراص حتى تنضج وبهذه الطريقة يمكن الحصول على عدد من الرصاع يكفي لأفراد العائلة ولوجبة واحدة فقط

اما السياح فيحضر بنفس الطريقة السابقة إلا أن العجينة تكون خفيفة وتشبه عجينة الكيك وتوضع فوق (الساج) في اناء صغير برهة من الزمن وبعد ان تنضج واحدة توضع أخرى بدلاً منها وهذا النوع يستعمل عادة في وجبة الفطور

اما الطابك فيوضع العجين فوق طبقة طينية سميكة توضع فوق النار حتى تأخذ كمية كافية من الحرارة عند ذلك تقلب تلك القطعة الطينية فيصبح الجزء الذي كان ملاصقاً للنار الى اعلى و يوضع فوقه عجينة الرز وبمدة عشر دقائق تنضج هذه العجينة وتكون جاهزة للأكل ولاسيما مع السمك المشوي وهكذا نجد ان المستوى الاقتصادي للسكان أعلى من مستوى الفلاحين في باقي انحاء العراق ولقد سألت أحدهم عن دخله السنوي فأجابني :

١ ـ انه يحصل على حوالي ١٠٠ دينار من بيع الشلب

٢ ـ يقوم بعض الأحيان ببيع السمك الذي يصطاده

٣ ـ صيد الطيور و بيع بعضها

٤ ـ بيع الدجاج أو البيض

٥ ـ بيع محصول منتجاتهم الحيوانية

١ ـ بيع القصب والبواري في الاسواق المجاورة وهكذا يمكن القول بأن مستواهم الاقتصادي لابأس به وهذا في الواقع ينعكس على ألبستهم وعلى ترددهم دوماً على مركز الناحية أو اللواء ثم على مستواهم الصحي والى جانب هذا فان كل عائلة تملك على الاقل مشحوفاً

او (بلم) كبير فضلاً عن ان معظمهم يملكون بنادق يستعملونها بكثرة في الصيد وفي المناسبات ويلاحظ اخيراً تعدد الزوجات والمهر يعتبر عالياً نسبياً إذ يتراوح بين ١٢٠ ـ ١٨٠ ديناراً وقد يصل الى مائتي دينار ولو لا توفر المال لديهم لما اقدموا على التزوج من اكثر من زوجة

الفصل الرابع

وسائل المواصلات :

ان المياه ووسائل النقل المائية هى الوسيلة الوحيدة التي ينتقل بواسطتها سكان الصحين من القرية الىالقرى المجاورة أو إلى النواحي المجاورة فلا يوجد هناك نقل بري أو واسطة نقل برية تربط هذه القرية بغيرها ، هذا بالاضافة الى ان اعتماد حياتهم الاقتصادية على الصيد سواء صيد الاسماك أم الطيور وتربية الجاموس وقطع القصب وجمع البردي كل ذلك يحتاج الى وسيلة نقل مائية ولهذا نجد ان وسائل النقل هذه تتوفر في قرية الصحين ويعتبر الزورق أهم وسيلة للنقل في الصحين يضاف الى ذلك المشحوف والزورق البخاري ويقوم الصابئة الموجودون حوالي المنطقة وعلى ضفاف الجداول بصنع المشاحيف فهم مختصون بذلك ويبدو لي ان السبب فى ذلك يرجع الى استمرار سكان الصحين بالعمل ليلا ونهاراً في الصيد وللبحث عن مصادر العيش المختلفة جعلهم ينصرفون عن هذه الصناعة أو انهم يسهجنون هذا العمل اليدوي شأنهم شأن باقي البدو الذين يسهجنون كل عمل عدا التجارة والحرب وهم يقدرون التجارة لانالرسول (ص) كان تاجراً وكذلك كانالخلفاء الراشدون من بعده كما انهم كتجار يتعاملون مع الملوك والأمراء وسراة القوم

وأهم وسائل المواصلات هذه هى :

١ ـ الطرادة : يبلغ طولها حوالي ٦ أمتار وعرضها متر ونصف وتكون في العادة

عريضة في الوسط وتضيق بالتدريج كلما انتقلنا الى الجانبين وتحمل ٨ أشخاص واحسن أنواعها هى تلك التي تصنع في منطقـة الهدير على بضعة أميال من القرية وتـكون سريعة السير بالمجاذيف والمرادي ويبلغ سعرها حوالي ١٠ دنانير

٢ ـ البوكش : وهو يشبه الطرادة من حيث الطول إلا انه اكثر عمقاً وعرضاً ويسير بواسطة المجاديف والمرادي والشراع والجر بالحبل

٣ ـ البلم : يبلغ حجمه خمسة اضعـاف البوكش ، ويسير بواسطة الشراع والمجاديف والمرادي أو السحب بالحبل وتبلغ حمولته حوالي ٤ـ٧ طناً

٤ ـ المخيط : وهو زورق صغير يبلغ طوله حوالي مترين وعرضه متر ونصف وارتفاعه ثلاثون سنتمتراً يصنع من الخشب المنشور والمسامير ومزفت بالقـير من الخارج ويحمل شخصاً واحداً ويستعمل لصيد الطيور

٥ ـ الماطور : يشـبه هذا الزورق المخيط من حيث الطول إلا انه اعرض منـه بحوالي الضعف ويحمل شخصين ويصنع من نفس المواد التي يصنع منها المخيط ويسير بواسـطة المجداف والمردي

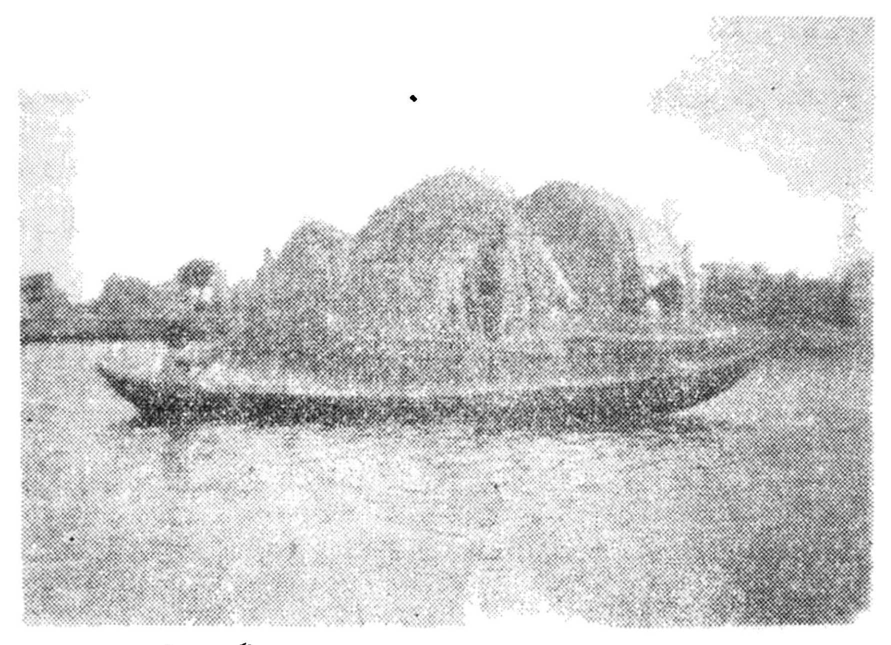
٦ — الزورق البخاري : وهو يشبه البلم إلا انه يعمل بالموتور وهو في الواقع واسطة النقل الوحيدة بين الصحين وناحية المجر الـكبير ولا تنقطع حركته دوماً

اما كيفية صنع هذه الزوارق المارة الذكر فيكون من الواح الخشب ومن قطع خشبية محفورة مستوية في الوسط منحنية في الاطراف ومطلية في الخارج بالزفت ويكسى النصف العلوي من الاضلاع (عوجه) بألواح خشبية من الداخل وبألواح من الخارج يمتد بامتداد الزورق وهى عريضة في الوسط ودقيقة في نهايتيه وفي الزورق عارضتان خشبيتان لتقويته تعرف عندهم (بالحست) وتسمى مقدمة الزورق بالصدر ومؤخرته بالأخير أو المؤخرة ولا يوجد في منطقة الصحين أي مصنع لأي نوع من أنواع الزوارق المستعملة في المنطقة ولـكن يوجد مصلح بسيط يدعى الـكبير وهم يستوردون زوارقهم من الهوير التابعة للقرية

٧ ـ المشحوف: وهو لا يختلف كثيراً في وصفه عن الانواع الأخرى وهو يمتاز باتساعه

في الوسط ودقته في نهايته لاسيما حينما تتجه بارتفاع مقدمة المشحوف (العنق) ليكون قادراً على ان يشق طريقه في الاهوار وسط البردي وفي العادة يجلس الركاب في قعر المشحوف

أما الخشب المستعمل فبالنظر لعدم وجود اشجار في المنطقة لهذا فان الاخشاب تستورد من الخارج ، اما القير فيتوفر في مناطق كثيرة في العراق شماله وجنوبه ولهذا ننتظر انهم يجلبونه من مناطق انتاجه أو من حيث يتوفر سواء في القيارة في الشمال أم غيرها عن طريق النقل المائي



في منطقة الصحين طفلة صغيرة وهي تسير زورقاً صغيراً

الفصل الخامس

النظام الاجتماعي والعادات والتقاليد لسكان الصحين :

ان الصحين منطقة ضيقة ذات موارد محدودة وسكان قليلين ولذلك لا ننتظر وجود فوارق طبقية حادة أو اختصاص كامل في الحرف فقد نجد الفلاح يزرع ويمارس حرفة

الصيد في نفس الوقت ، وكذلك صناعة البواري فهو يمارس الصيد والزراعة والصناعة في نفس الوقت ولكن مع هذا بامكاننا ان نجد ثلاث جماعات متميزة .

١ ـ الفلاحون : لقد قاسى الفلاح في جنوب العراق كثيراً من سوء توزيع الملكية العقارية وكذلك من الاقطاعيين فقد استحوذ عدد قليل على الاراضي اما غالبية الشعب فكانوا يعملون أجراء عنده وطالما نالهم من الاقطاعي أو من وكلائه سوء العذاب والاستهتار بحقوقهم وعلى كل فان الفلاحين في الصحين يمثلون العنصر الفعال وغالبية مجتمع الصحين وهم يزرعون الرز بالدرجة الاولى اذ ينتظرون انسحاب الماء وظهور الاراضي أو وجود بعض الجزر فيحرثون أرضها ويزرعونها بالرز وهم في ذلك يتبعون طريقة الشتال اذ يجلبون نبات الرز من الازيرج ثم يزرعونه في اراضيهم التي تبلغ ملكية الفرد منها بين ٣ ـ ٤ أفدنة وهو في الوقت الحاضر يتصرف بمحصوله كيفما يشاء بعد ان كان صاحب الارض أو الملاك يقاسمه هذا الحاصل والفلاح لا يترك فترة دون عمل فهو في فترة الشتاء يقوم بالصيد سواء صيد الاسماك أم الطيور وكذلك يجمع القصب والبردي وصناعة البواري .

٢ ـ الصيادون : يأتي الصيادون بالدرجة الثانية بعد الفلاحين من حيث الاهمية والصيادون في منطقة الصحين قسمان :

أ ـ صيادون مختصون بصيد الاسماك .

ب ـ صيادون مختصون بصيد الطيور

ودخل الصيادين قليل جداً لا يتجاوز العشرة دنانير في الشهر وذلك لرخص أثمان الطيور والاسماك في المنطقة اذا ما قورنت بأثمانها في المدن الكبيرة ويمتاز صيادو الاسماك بالصبر على تقلبات الجو المختلفة من حرارة وبرودة ورياح وسموم .. الخ . فتراهم دوماً عراة حتى من الملابس الداخلية التي نادراً ما يستعملونها ما داموا في الماء ولا يلبسون البستهم إلا اذا اقتربوا من بيوت السكن وهم يفعلون هذا صيفاً وشتاء .وأهم ما يحتاجه صياد السمك الشبك والزورق والزهر (السم) في بعض الاحيان اما صيادو الطيور فانهم يحتاجون

الى بنادق الصيد والبارود الذي يصنعونه محلياً وكذلك الزورق

٣ ـ السادة والاشراف : وهم جماعة قليلة في منطقة الصحين والاشراف يمثلهم رؤساء العشائر ورجال الدين وكبار السن وحجاج بيت الله الحرام (مكة المكرمة) ومن زار مرقد الامام الرضا في ايران والذين يسمون زوار والواقع انهؤلاء لا يمثلون طبقة منفصلة لان كل واحد يمكن ان يصبح ضمن هذه الطبقة اذا حج أو زار أوكان من كبار السن ولكنهم يحترمون كبار السن ويتبركون بالحجاج والزوار ويقدرون الشيوخ والرؤساء لأنهم يدافعون عنهم وهم اصحاب المضيف الذي يجتمعون فيه وكذلك يمثل واجهة الجماعة أوالقبيلة امام القبائل أو الجماعات الأخرى وهم يولون السادة (ابناء بنت رسول الله) عناية خاصة

لكل جماعة عادات وتقاليد يميزها عن غيرهم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وقسم من هذه العادات أخذوها من موطنهم الأصلي الذي نزحوا منه وقسم آخر تكون عندهم في موطنهم الجديد نتيجة لاختلاطهم مع الجماعات الاخرى الموجودة في المنطقة أو لاختلاطهم مع سكان المدن فكثيراً من العادات المجيدة التي ورثوها عن اجدادهم في شبه جزيرة العرب لا يزالون محتفظين بها كأكرام الضيف والثأر والعفة ومساعدة بعضهم البعض الآخر

اما اكرام الضيف فتلك مكرمة يمتازون بها كما امتاز بها اجدادهم من قبل في شبه الجزيرة ، فالعربي يفاخر في اكرام الضيف وقصص الكرماء تأخذ صفحات طويلة مشرفة في الادب العربي وما قصص حاتم الطائي في الكرم الا احداها ، وطالما فاخر الشعراء بكرم شخص أو قبيلة وذموا البخل في الاشخاص والقبائل فالكرم عند سكان الصحين مطلق اذ يقدم صاحب الدار كل ما يملك او يتيسر لديه وذاك لعمري غاية الكرم فيقدمون للضيف احسن ما عندهم من طعام ويعدون له الفراش ان اراد المبيت ، فقد نجد في معظم البيوت محل للضيوف يدعى المضيف (أو الربعة) ويشيرولفرد ان الضيوف قد ينامون مع العائلة واعتقد ان ذلك يحصل عند عدم وجود مكان خاص للضيوف والعادة الجارية عند سكان الصحين انه عندما يسلم شخص على احدهم بقرب داره يجيبه صاحب الدار بعد رد التحية (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) بكلمة أفلح أو گلمط وتعني تفضل

ولقد استقبلنا من سكان المنطقة احسن استقبال وقدموا لنا بالفعل كل ما وسعهم

ومن العادات الكريمة الاخرى التي يتمسكون بها ويحافظون عليها والتي ورثوها عن آبائهم واجدادهم العفة والمحافظة على الشرف واعارته اهمية بالغة كبيرة وتحرص البنت في الريف تمام الحرص على عفتها لان عدم المحافظة على الشرف سيلحق الاذى ليس بالفتاة فقط او بعائلتها بل بالقبيلة كلها

ويتعاونون بعضهم البعض الآخر ويقضون حاجات المحتاجين منهم ومساعدته جهد امكانهم فلو أراد احدهم مثلا ان يبني داراً طلب من جميع من له معرفة بهم ابداء المساعدة له وتسمى عندهم (عونة) أو (نخوة) وفي هذه الحالة لا يتوانى أي فرد عن مد يد المساعدة وعندما يركبون الزوارق نجد ان الرجل الذي يجلس في وسط الزورق هو الذي يقوم بالسلام على الآخرين أو الرد على تحياتهم

السرقة : ان عادة السرقة شائعة بينهم وهى تزداد فيالليالي ولاسيما في الوقت الذي يختفي فيه القمر لكي لايميزهم من يشعر بوجودهم ولذلك نجد أن السرقات تزداد ايام الرياح والمطر وفي آخر ايام الشهر القمري ومثلهم الدارج «ليلة العشرين احفظ مالك يامسكين» وهم لايسرقون من بعضهم البعض فالذى يسرق من قريته ينظر اليه نظرة احتقار وازدراء ولكنهم يكبرون من يسرق من قرى اخرى ويعتبرون ذلك نوعاً من الشجاعة والبطولة

ولعل اسباب السرقة يعود الى اسباب اقتصادية او المركز الكبير الذي يكسبه السارق من القرى المجاورة حيث يعتبر فارساً وشجاعاً يخشى بأسه ويفاخرون به وينعتونه بانه (اخو اخيته) او (زلمة حوك) وقد يكون سبب السرقة هو الحصول على ما يشتهيه باسرع وقت ممكن وهو يعتبر ذلك حلالا ، فهم عندما ينوون القيام بسرقة اي بيت يرددون قول (توكلنا على الله) واذا احاق بهم الخطر وسدت امامهم السبل لشعور سكان القرية بهم وراهم يرددون (يا ربنا ادركنا)

وعند السرقة يقوم اللصوص بتعيين الدار الذي ينوون سرقته وموقعه بالنسبة الى

باقي الدور والتعرف على مقدار الثروة التي تملكها صاحب الدار ومكانها وهم يستعملون للحصول على هذه المعلومات وسائل متعددة منها ارسال زوجاتهم كزائرات لذلك البيت المراد سرقته ويرسمن باذهانهن خارطة البيت واماكن الذهب والمصوغات والنقود ان وجدت او قد يذهب الرجال انفسهم الى ذلك الدار كضيوف عاديين ويبقون مدة يعينون خلالها مكان ما يرغبون سرقته وهي الافرشة والحبوب والاسلحة والنقود وبعد أن ينتهوا من هذه الدراسة في نفس البقعة يغادرون الدار ويتحينون الفرصة ليلا لسرقته وقد يتفق اكثر من واحد للسرقة ويتزودون بالسلاح كالخنجر والعصا أو الاسلحة النارية كالمسدس ان وجد وهم نادراً ما يقتلون عند السرقة ولهذا قلما يحملون سلاحاً نارياً لانهم يذهبون للسرقة لا لأراقة الدماء والقتل ، وهم يرتدون ملابس خفيفة وعند الوصول الى الدار المنوي سرقته يختفي السراق في مكان قريب وهم يراقبون عن كثب مكان الدار وعندما يطفأ الضوء وينقطع الكلام وتنام الكلاب يقومون بتنفيذ خطتهم التي رسموها نهاراً للسرقة ويقسم اللصوص العمل بينهم فاحدهم يدخل للسرقة ويفضل من يقوم بهذا العمل من يكون مغامراً شجاعاً خفيف الحركة ويبقى آخر خارج الدار للمراقبة وكثيراً ما يستغل اللصوص الليالي المطرة وعندما تكون الرياح شديدة ويزداد الرعد والبرق لان ذلك يثير الفزع في النفوس ويجعل من الصعب تمييز اللص وفي مثل هذه الليالي قد يبقى اصحاب الدور مستيقظين طوال الليل وهو يردد كلما سمع صوت حركة القصب او البردي عبارة (يا هو هاذ) وعند اتمام عملية السرقة يضعون ما يسرقونه في قوارب ويعودون ادراجهم الى قريتهم وهم يفاخرون بعملهم هذا ولهذا كثيراً ما يتحدث هؤلاء اللصوص عن بعض السرقات التي قاموا بها وهم يعتبرون ذلك نوعاً من البطولة والشجاعة والفروسية واذا احس صاحب الدار بالسارق يهرب مستفيداً من ظلمة الليل او اذا مر شخص ما فان اللص المراقب يقوم بارسال اصوات معينة لينتبه اللص حتى يأخذ حذره

الثأر : من العادات التي ان دلت على شيء فانما تدل على العادات القبيلة التي يتميزون بها وعدم تمسكهم بالقانون وسيطرة الحكومة عليهم ، هي الثأر وهي تعنى ان الشخص

او القبيلة تثأر لنفسها اذا اعتدي على أي فرد من افرادها فاذا حدث ان قتل احـد افراد عشيرة ما شخصاً من عشيرة اخرى فان ذوي القتيل وابناء عشيرته يأخذون من ذوي المعتدي فصلاً (مبلغاً من المال تعويضاً عن دمه) أو يقتلون القاتل او احد ابناء عشيرته

والفصـــل هو بيع القتيل بمبلغ من المال والغاية من الفصل التملص من القتـــل لانه لا مناص من ان يقتص اقارب المقتول وعشيرته من القاتل أو من احد افراد عشيرته ولهذا يذهب ذوو القاتل مع بعض وجهاء المنطقة من رؤساء العشائر والسادة ويذهبون الى رئيس عشيرة المقتول او من ينوب عنه ويعتذرون منه طالبين الصلح وتسوية القضية تسوية سلمية واستعدادهم الكامل لدفع التعويض فان كانت عشيرة المقتول قوية طلبوا من ذوي القاتل تعويضاً كبيراً وان كانت ضعيفة كان التعويض قليلا وقد يشمل التعويض المال وعدداً من النسوة او باحـــدهما فعند التعويض بالنساء يتزوج ذوو المقتول تلك النسوة وتجبر على الزواج من اي شخص وبدون مهر وتكون محتقرة مهانة وبهذا التعويض يحل السلام بين القبيلتين وإلا فالقتل يهدد اي فرد من عشيرة القاتل

الزواج : قبل التكلم على الزواج لا بد من معرفة مكانة المرأة في مجتمع القرية فهي على الرغم من كثرة الواجبات الملقاة على عاتقها إلا ان مركزها ثانوي في العائلة فلرب البيت مطلق السيطرة على البيت ولا يرد له كلمة او يعترض عليه معترض وتقوم المرأة بواجبات البيت من طبخ وتنظيف وكذلك تساعـد الرجل في الزراعة والصيد وحراسة البيت في الليل ان غاب الرجل وقد ينزلن الى السوق لبيع بعض المنتجات وقد يتدربن على استعمال السلاح للدفاع عن الدار عند غياب الزوج والبنت لا تتزوج إلا من اولاد عمها ان ان وجد لها ابناء عم (البنت حلها وعقدها بيد ابن عمها) ولا عكن لاحـــد ان يتقدم لخطبها ما دام لها اولاد عم وهذا ما يسمى (بالنهوة) والنهوة معناها عدم السماح بزواج الفتاة دون اخذ رأي ابناء عمومها الذي يهون الخطيب من الزواج من ابنة عمهم واذا لم يمتنع فيقومون بالاعتداء عليه أو يسعون الى قتله

والنساء في الريف العراقي ـ وحتى في المدن ـ لا يتمردن على ذويهم في الزواج ولا يسمح لهن بابداء الرأي عند الخطبة إلا نادراً واذا احب شاب فتاة خطبها من ذويها وان لم يملك المال المطلوب (المهر) ظل حبه بريئاً لا يتعدى النظرة والابتسامة والسلام واذا طفح حبه خفف من اللوعة بالغناء والاكثار من التدخين وعند الخطبة يصطحب اهل الشاب الخاطب بعض وجوه القرية وينزلون ضيوفاً عند والد الفتاة الذي يحضر الطعام وبعد الانتهاء من الاكل يبدأ احد كبار السن بالتكلم مع ولي امر الفتاة وهو يشيد بشرف الفتاة وعائلتها وكذلك بالشاب وشجاعته وكرمه وغناه ـ الخ فاذا وافق والد الفتاة يبدأون بتعيين المهر ويتلو الجميع صورة الفاتحة والمهر يتراوح بين ١٢٠ـ١٨٠ ديناراً وعند زواج بنت العم الى ابن عمها فان مقدار المهر يتراوح بين ٥٠ـ٧٠ ديناراً هذا بالاضافة الى قيام ذوي الخطيب بتقديم وجبتين من الملابس للخطيبة تدعى الوجبة الاولى (النيشان) والثانية (الجهاز) كما يرسلون في كلتا المرتين ملابس وهدايا للنساء اللواتي تربطهن رابطة القرابة مع العروسة

وبعد قراءة الفاتحة (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .. الخ) تطلق العيارات النارية في الهواء ايذاناً ببدء الخطبة وينشر الخبر في جميع المنطقة وفي الليلة التالية يتوافد اصدقاء الخطيب الى داره مستصحبين معهم بنادقهم لاطلاق النار اشعاراً بفرحهم وبهجتهم وتستمر هذه الحالة مدة (٣) ثلاث ليال ، وبعد الخطبة يعين يوم للزفاف وفي هذا اليوم يدعو العريس اقاربه واصدقاءه من القرى المجاورة وجميع اهل قريته الى وليمة يقيمها بهذه المناسبة ويأتي الرجال مدججين بالسلاح راكبين زوارقهم وبعد التجمع امام بيت العريس يتوجهون الى بيت العروسة وبين هذه الزوارق هنالك زورق كبير قد زين بمختلف الزينة تركب فيه النسوة وهن يزغردن وينقرن الدفوف وينشدن الاغاني الشعبية

« عرسك يامدلول يريد معاونه هلاهل وطبول ودگه برهدنه »

اما الرجال فيظهر فرحهم باطلاق الرصاص ورقص الدبكات أو الرقص العادي الذي يجيده الصغار منهم وانشاد الاهازيج الشعبية :

« عيد ونفرح بيه ياعرس بن العم   أو الشايف يومك ماينساه »

وبعد الوصول الى بيت العروسة يأخذون الفتاة تحت مظاهر البهجة والمسرة والافراح الى بيت العريس وهم يجلسون معهم احد رجال الدين ليقوم بعقد القران وتوزع الحلويات وبعد مرور سبعة ايام الزواج يسمح للعروس بممارسة بعض الاعمال المنزلية وبالنظر لكثرة مايطلق من اعيرة نارية قد تنقلب الاعياد احزاناً اذ قد يصاب البعض بطلقات نارية تودي بحياة بعضهم

والذي لاحظت في هذه المنطقة التزوج باكثر من واحدة ولاسيما لمن عنده قابلية مالية وسألتهم عن السبب في ذلك فاجابوا :

١ ـ اكثار النسل : اذ ان قوة الشخص تقاس بعدد اولاده وكل من زاد عدد اولاده واقاربه زاد احترامه

٢ ـ التزوج من نساء القبائل او قرى اخرى متعددة يؤدي الى قوة ذلك الشخص اذ تكثر جماعته .

٣ ـ اشباع الرغبة الجنسية

٤ ـ ليقوى مركز الرجل عند الزوجة الاولى التي تبقى هي المسيطرة على البيت

وقد اخبرني احدهم ان رجلاً عمره ١٢٠ سنة خطب وتزوج الزوجة الحادية والخمسين في اليوم الذي وصلنا فيه الى قرية الصحين

الاعيـاد :

يستقبل سكان الصحين الاعياد استقبالاً خاصاً فعند استقبال عيد الفطر مثلاً ترى الناس يجتمعون في آخر ايام شهر رمضان لمشاهدة الهلال فان رأوه رؤية صحيحة اطلقوا العيارات النارية وفي الصباح يرتدون الثياب الجديدة البراقة ولاسيما ذات الالوان الصارخة (للنساء) ويهنىء احدهما الاخر بالعيد السعيد والعادة الجارية هناك ان بعض رؤساء العشائر يقيمون

وليمة للمهنئين بهذه المناسبة وهذا الشيء نفسه يحدث في العيد الاضحى .



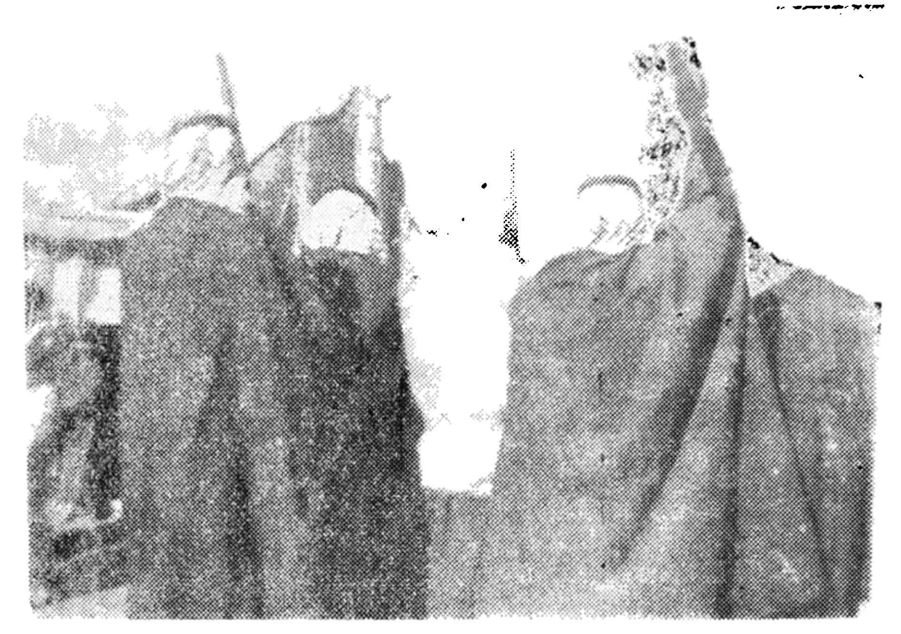
سكان الصحين في العيد

وهم يحتفلون كذلك في حفلات الختان وبالمولود الذكر وتقام حفلات بهذه المناسبة يقوم الاولاد بالرقص او الكاولية (الغجر) الذين يرقصون طوال الليل

الاحزان :

تعتبر الوفاة من اعظم المصائب التي تسبب لهم الاحزان ويوم الوفاة في الصحين يوم مشهود فترى القوم مدججين بالسلاح وتظهر عليهم علامات الهرج والمرج وكأنما يريدون ان يرهبوا ملك الموت فتراهم يبدأون بترديد الهوسات الشعبية المعبرة عن حزنهم وهم يرددون الاشعار التي تتضمن عرضاً لحياة موتاهم ولاسيما عند تشييع الجثمان أو قد يشيدون بابن المتوفى اذا كان المتوفى رجلاً اما اذا كانت المتوفية امرأة فيكتفي ذووها بتكفينها ودفنها والقيام بمأتم يستمر ثلاثة ايام والعادة عندهم انهم يدفنون موتاهم في مقبرة (الغرى) في النجف الاشرف حتى ولو لم يكن لديه ما يسد رمقه فانه يقترض المال اللازم

ويأخذ الجثة الى النجف . اما المـآتم الاخرى فعنـــدهم مأتم شهر محرم الحرام حيث يقيم المؤمنون مجالس تقرأ فيها حادثة استشهاد الامام الحسين؏ واصحابه





صورتان تمثلان المـآتم في الصحين

الخاتمة :

بعد هذا العرض ـ وارجو ان يكون شيقاً ـ لسكان الصحين وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية وعاداتهم الحسنة منها والسيئة وبساطة حياتهم حتى تصل الى درجة البداءة ماذا نعمل لرفع مستواهم ؟

إن حياة سكان الصحين تنطبق على باقي سكان الاهوار حياة ساذجة ولكنها تحتاج الى عمل متواصل وجهد كبير لكي يحصل الانسان على قوته فاذا العلة ليست بالسكان ، فهم ليسوا بالكسالى وعندهم القابلية للتطور وعندهم الاقبال على التعلم والاخذ بتلابيب الحضارة واحسن السبل التي نتبعها والتي سترفع من مستواهم الصحي والثقافي والاجتماعي هي :

١ ـ تطبيق قانون الاصلاح الزراعي تطبيقاً صحيحاً ينسجم مع حاجات المنطقة .فيجب توفير الحبوب التي سيزرعونها وكذلك الجمعيات التعاونية التي تمدهم بما يحتاجونه من سماد يناسب تربتهم او المكائن الزراعية المختلفة وهذا ما لم يتحقق حتى الوقت الحاضر

٢ ـ الاكثار من المدارس الابتدائية وهذا ما رأيناه بالفعل ولمسناه ، فعلى طول مجرى المجر الكبير نشاهد المدارس ولكن ارى ان نكثر من فتح المدارس المهنية في المنطقة تلك التي تقوم بتدريسهم الزراعة وبعض الصناعات اليدوية التي يمكن ان يفيد منها في حياته اليومية وهذا لم يحصل حتى الوقت الحاضر والعمل على تركيز التعليم الالزامي ومجانيته على الاقل في المرحلة الاولية (من الصف الاول الى الصف الرابع) وكذلك مكافحة الامية بطريقة صحيحة تعطي الثقة لدى المواطنين هناك بان عملية المكافحة هذه انما تجري لتعليمهم فقط وتخليصهم من الجهل لا لاغراض حزبية فقد اخبرت ان كثيراً من السكان قد انصرفوا عن التعليم لانهم حضروا محاضرات حزبية وليست

محاضرات علمية الغرض منها تعليمهم ورفع مستواهم الثقافي وانقاذهم من الجهل

٣ ـ تنظيم بيع المحصول من الرز وعدم اعطاء المجال للتجار الذين يفـدون الى المنطقة لا ستغلالهم وشراء المحصول باسعار زهيدة لا تتناسب واسعاره في الاسواق .

٤ ـ تنظيم بعض الصناعات اليـدوية وتنشيطها والتي يمكن ان يرفع من مستواهم الاقتصادي فمثلاً بتحسين نسيج الباريات او مصنوعات اخرى يدوية من القصب والبردي.

٥ ـ العمل على فتح معمل للورق في المنطقة للافادة من المواد الاولية في المنطقـة ولتشغيل بعض الايدي العاملة

٦ ـ الاكثار من المستوصفات واجبار الاطباء ان يقضوا مدة من الزمن في مثل تلك المناطق فلقد تعودنا ان نجد تركيزاً للاطباء في المدن الكبرى ولكن لم يحصل إي من المدن الصغيرة او القرى والارياف على طبيب واذا واتاهم الحظ فيكون في العادة موظفـاً صحياً وهذا لا يكفي صحيح انه قد تم القضاء على الملاريا وكذلك البجل ولكن هناك التراخوما والبلهارزيا التي لم يزل السكان يشكون منها بالاضافة الى الاوبئة الوافدة

٧ ـ تنظيم تربية الاسماك وصيدها وتصنيفها اعتقد ان هذه المنطقة وغيرها من مناطق الاهوار بامكانها ان تصبح اعظم المناطق في تربية الاسماك فهي بحـيرات واسعة تبلغ مساحتها كما قلنا حوالي ٢٠٠٠٠ كم٢ وهذه المساحة الكبيرة يمكن ان تكون مورداً عظيماً للبلاد لتربية الاسماك وبذلك يوفر الاسمـاك للاهالي ثم التصدير الى الخارج فكان سكان المنطقة في الماضي يصدرون الاسماك بعد ان يجففوها او يملحوها ويصدروهـا الى المناطق المجاورة او الى الخارج هذا في القرون الوسطى فلماذا لا يحدث مثل هذا في الوقت الحاضر يمكن ان يقام معمل صغير للتعليب في المنطقة هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يجب تنظيم اسعار الاسماك لان تجار الاسمـاك يستغلون الصيادين استغلالاً فظيعاً فهم يشترونها منهم باثمان زهيدة ويبيعونها في اسواق المدن باثمان عالية وخياليـة في بعض الاحيان فلا بد من تنظيم بيع الاسماك وذلك بتنظيم سير سيارات مبردة تجمع الاسمـاك وتباع في اسواق المدينة او ان الجمعيات التعاونية هي التي تقوم بهذه المهمة. فلقد ابلغني بعضهم

ان كل ١٠٠ سمكة تباع بـ ٣ دنانير وهذا طبيعي سعر زهيد جداً بالنسبة لاسعارها في المدينة

٨ ـ تنظيم وسائل النقل في المنطقة

٩ ـ تنظيم تصنيع المنتجات الحيوانية كالحليب

١٠ ـ انشاء بعض الفنادق السياحية ففي المنطقة كل الامكانيات لكي تصبح منطقة سياحية (مشتى) يقصدها السواح للتمتع بمناظرها الجميلة ومناخها الدافىء وكذلك ممارسة هواية الصيد

١١ ـ تنظيم تسرب المياه الى هذه المناطق الواطئة وضبط دجلة والفرات وبهذه الطريقة يمكن تجفيف هذه المستنقعات او تضييق مساحتها وبذلك تزداد مساحة الاراضي الزراعية.

محمد رشيد الفيل